الإمام محمد قاسم النانوتوي
كما رأيته

بقلم:
العالم الكبير الشيخ / محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله
(١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م - ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م)

ترجمة وتعليق:
الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري
أستاذ بالجامعة الإسلامية : دارالعلوم / ديوبند

أكاديمية شيخ الهند
بالجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند، الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن(*)

رئيس الجامعة الإسلامية : دارالعلوم/ ديوبند

الحمد لله الذي أكرم الإنسان بالعلم والفضل ، والصلاة والسلام على رسوله الأعظم محمد بن عبد الله خاتم الرسل ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد : فهذه ترجمة مُوْجَزَة مُرَكَّزة للإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله مُؤَسِّس الجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند – التي هي أم المدارس والجامعات الإسلاميّة الأهليّة في شبه القارة الهنديّة – وَضَعَها العالم الرباني الجليل الشيخ محمد يعقوب النانوتويّ رحمه الله.

والترجمةُ على إيجازها أوثقُ التراجم التي أُلِّفَت للإمام النانوتوي رحمه الله ؛ لأن مُؤَلِّفَها الشيخ محمد يعقوب النانوتوي كان تربَه في العمر تقريبًا ، ومعاصره في الدراسة ، وكان قريبًا له في النسب ، ومن جيرانه في الوطن ، ورفيقه في السكن أيّام التعلّم في دهلي ؛ فهي أساسٌ ومصدرٌ لكل

(*) توفي قبل صدور هذا الكتاب وقبل أن تقر عيناه بقراءة هذا التقديم وهذا الكتاب مطبوعين . وذلك في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء : غيرة محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٨/ دسمبر ٢٠١٠م رحمه الله وجعل الجنة مثواه. (الأميني)

التراجم التي وُضِعَت فيما بعد.

وقد أحسن أخونا العزيز الشيخ نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة «الداعي» العربيّة الشهرية وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، إذ أشار على الأخ الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري أحد خريجي الجامعة وأستاذ بها بنقل هذا الكتاب الكبير القيمة القصير القامة إلى اللغة العربيّة، حيث تَمَهَّدت بذلك السبيل بإذن الله إلى الحفاظ على هذا التراث القيّم لوقت أطول ممكن؛ لكون اللغة العربيّة مُحَافَظًا عليها من قبل الله عز وجلّ ضمن وعده بحفظه لكتابه الخالد القرآن الكريم: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر: ٩) كما سَهُلَ اطِّلاَعُ القراء العرب على حياة هذا الإمام الفريد الذي وَقَفَ كلَّ مُؤَهَّلاته العلميّة والفكريّة على خدمة الإسلام والمسلمين، وشاد منارةَ العلم والتعليم والتربية شامخةً ظَلَّ يهتدي بها المسلمون في هذه الديار، وأسس وقاد حركةَ المدارس الإسلاميّة الأهليّة التي ظلَّت ولا تزال ضمانًا لاخضرار شجرة الإسلام في هذه الديار؛ لأنها كانت ولا تزال مصدرَ حركات ونشاطات دعويّة ودينية، وتعليمية و تربوية، وعلمية وفكريّة تفاعلت وتضامنت في الإبقاء على الكيان الإسلاميّ في شبه القارة الهنديّة والحفاظ علي أصالة الإسلام ونقائه فيها وعلى الاستمراريّة في إزالة ما عَلِقَ بِلُجَيْنِه الصافي من حين لآخر من الغبار من جرّاء جوار الديانات الأخرى التي لا تزال تموج في هذه البلاد، وعلى رأسها الوثنية الموغلة في القدم المجهول فيها.

ويسرّنا أن نُقدِّم إلى كل قارئ عربيٍّ هذا الكتاب في حلّته العربيّة القشيبة، شاكرين كلَّ من أسهم في إخراجه بأيّ شكل من الأشكال، ولاسيّما أخانا الفاضل الشيخ بدر الدين أجمل علي القاسمي عضو المجلس الاستشاري لجامعتنا، والمشرف على «أكاديمية شيخ الهند» التابعة للجامعة؛ حيث ظل مهتمًّا بإصدار كل ما ينفع القراء ويُثْرِي رصيدَهم العلميّ والفكريّ ويُغَذِّي روحَهم الإيمانيّة، من الكتب والتراجم من هذه الأكاديميّة العلميّة.

داعين المولى عَزَّ وتَبَارَكَ أن يتقبّل هذا الجهدَ خالصًا لوجهه الكريم، وأن يُضْفِي عليه مسحةَ القبول، ويجعله مُتَدَاوَلاً بشكل دائم في سوق الكتب والإصدارات.

وصلى الله وبارك علي سيّد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

مرغوب الرحمن

رئيس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم

ديوبند، يوبي، الهند

يوم الخميس: ٤/ ذوالحجة ١٤٣١هـ

١١/ نوفمبر ٢٠١٠م

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : **الكاتب الإسلامي المعروف الشيخ نور عالم خليل الأميني**
رئيس تحرير مجلة « الداعي » العربية
وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية : دارالعلوم
ديوبند ، يوبي ، الهند

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسّلامُ على سيِّدنا ونبيِّنا محمد المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعدُ :

فإنّ هذا الكتابَ ترجمةٌ عربيّةٌ لكتاب مُوْجَز، وَضَعَه الشيخُ الكبيرُ محمد يعقوب النانوتوي (١٢٤٩- ١٣٠٢هـ/ ١٨٣٣- ١٨٨٤م) ابنُ أستاذ الأساتذة الشيخ مملوك العلي النانوتوي (١٢٠٤- ١٢٦٧هـ/ ١٧٧٩- ١٨٥١م) رحمهما الله تعالى، في ترجمة الإمام محمد قاسم النانوتوي (١٢٤٨- ١٢٩٧هـ/١٨٣٣- ١٨٨٠م) المعروف في الديار الهندية بـ« حجة الإسلام » الذي أسّس ، بتعاون من عدد من زملائه ، الجامعةَ الإسلاميةَ : دارالعلوم، ديوبند، التي هي أكبر وأعرق الجامعات

الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية ؛ بل هي أم المدارس والجامعات والحركات الدينية والدعوية اليوم في هذا الجزء الشرقي من آسيا.

وهذه الترجمةُ للإمام النانوتوي رغم إيجازها ، ذاتُ أهمية كبرى لاعتبارات عديدة ؛ أولاً : لأنّها بقلم رجل يصغر عنه في السن بنحو عام واحد فقط ؛ فهو تربُه في الصغر ، عَايَشَا الطفولةَ معًا ، وتزاملا في ملاهي الصبا وملاعبه ، وفي مشوار التعلّم والتحصيل ، والدراسة والثقافة. وثانيًا : لأنّه أَعْرَفُ به من غيره بحكم كونه تَرْبِطُه به أواصرُ القرابة ؛ و أواصرُ الجوار في قريته الجامعة « نانوته » (Nanauta) بمديرية « سَهارَنْبُوْرْ » (Saharanpur) بولاية « أترابراديش » (Uttar Prdesh) بالهند ؛ وأواصرُ الاشتراك في الأستاذ : الشيخ مملوك العلي النانوتوي – أستاذ كلية دهلي الإنجليزية العربية – الذي هو والدُ الشيخ محمد يعقوب وأستاذُه وأستاذُ الإمام النانوتوي ؛ وأواصرُ المُسَاكَنَة في غرفة واحدة في دهلي أيامَ تحصيلهما ؛ وأواصرُ عمل الأول أي الشيخ محمد يعقوب رئيسَ هيئة تدريس في الفترة ما بين (١٢٨٣- ١٣٠٢هـ/١٨٦٥- ١٨٨٤م) في الجامعة الإسلامية : دارالعلوم ، ديوبند ، التي كانت أول وأنجح محاولة للإبقاء على الكيان الإسلامي في هذه الديار ، والتي كان النانوتوي مُؤَسِّسَها يوم ١٥ / محرم ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠/مايو ١٨٦٦م.

فهذه الترجمة اليعقوبية للإمام محمد قاسم النانوتوي بمثابة متنٍ أصيلٍ لجميع التراجم التي وُضِعَتْ له – النانوتوي – لحد الآن أو ستُوْضَعُ في

المستقبل بالأردية أو بغيرها من اللغات ؛ حيث إنّ مؤلفي تراجم الإمام النانوتوي كلّهم قد اعتمدوا أصلاً عليها ، وعنها صدروا في استقاء المعلومات الأساسيّة التي لولاها لما تَوَصَّلُوا إلى الحلقات التي تُشَكِّلُ سلسلةً متصلةً لترجمة الإمام رحمه الله تعالى .

ونقلُ هذه الترجمة إلى اللغة العربية باعتبارها – اللغة العربية – ضامنةً لبقاء ما يُكْتَبُ فيها لأطول زمن إن شاء الله ، لكونها هي مضمونةَ البقاء والحفاظ ليوم القيامة من قبل الله الذي كان وَعْدُه مفعولاً .. نقلُها إليها ظَلَّ أمنيةً طيبةً تراودني منذ أمد بعيد ؛ ولكنّ كل عمل مرهون بوقته.

في مناسبة من المناسبات خلالَ الأعوام الأخيرة استشارني الأخ العزيز الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي – وهو متخرج من الجامعة الإسلامية : دارالعلوم/ديوبند ، التي أسسها النانوتوي ، وعالم مُؤَهَّلٌ وكاتب قدير باللغتين العربية والأردية – فيما يتعلق بالأعمال الكتابيّة. فقلتُ : له اِبْدَأْ بتعريب ترجمة الإمام النانوتوي بقلم الشيخ محمد يعقوب النانوتوي ؛ فهي ترجمةُ عبدٍ صالح بقلم عبدٍ صالح ، وستكون إن شاء الله مبعثَ خير وبركة لكل عمل ستقوم به في المستقبل إن شاء الله ؛ فقام الأستاذ بنقلها إلى العربية ونشرناها في حلقات في مجلتنا « الداعي » .

وها نحن أولاء نقدِّمها في صورة كتاب بالعربية إلى قرائها العرب والعجم ، عسى أن يجدوا فيها ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .

وإن أنسَ فلن أنسى تقديم الشكر إلى رئيس الجامعة الإسلامية :

درالعلوم/ ديوبند الحالي، الرجل الصالح، الليّن الجانب، الحلو الأخلاق فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن، والسادة أصحاب الفضيلة والسماحة أعضاء مجلس شورى الجامعة الموقرين، الذين وافقوا على إصدار هذا الكتاب الطيّب المبارك عن أكاديمية شيخ الهند التابعة للجامعة؛ فجزاهم الله خيرًا، وشكر سعيَهم، وبارك جهودَهم، وسَدَّدَ خطاهم، إنه سميع مجيب.

والمرجّو من القراء أن لاينسونا جميعًا في دعواتهم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

نور عالم خليل الأميني

رئيس تحرير مجلة «الداعي» العربية
وأستاذ الأدب العربي بالجامعة
الإسلامية: دارالعلوم
ديوبند، يوبي، الهند

تحريرًا في: الأربعاء ٢٦/ رجب ١٤٢١هـ
٢٥/ أكتوبر ٢٠٠٠م

ترجمة مُؤَلِّف هذا الكتاب

الشيخ محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله

رئيس هيئة التدريس الأسبق بـ « دارالعلوم / ديوبند »

كان الشيخ الصالح والعالم الجليل الشيخ محمد يعقوب النانوتوي — رحمه الله — أوّل من شَغَلَ منصبَ رئيس هيئة التدريس بالجامعة الإسلاميّة : دار العلوم/ ديوبند.

ولادتـــــه :

وُلِـدَ — رحمـه الله — ببلـدة نَانَوْتَـهْ (Nanauta) بمديريـة « سَـهَارَنْبُور » (Saharanpur) بولاية « أُتْرَابَرَادِيش » (Uttarpardesh) بالهند يومَ ١٣/ صفر ١٢٤٩هـ، وسُمِّي بـ« محمد يعقوب » وأُطْلِقَ عليه تاريخيًّا اسمُ « منظور أحمد » واسمُ « غلام حسين » واسمُ « شمس الضحى » ؛ فهي أسماء تدلّ على تاريخ ولادته .

تعليمُه وتربيتُـه :

تَلَقَّى مبادئَ القراءة وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ ببلدته ومسقط رأسه « نَانَوْتَهْ » وذَهَبَ به والدُه الشيخُ الكبيرُ مملوكُ العليّ النانوتويّ (١٢٠٤- ١٢٦٧هـ = ١٧٧٩- ١٨٥١م) — الذي كان أستاذًا بكلية دهلي الشهيرة —

إلى مدينة « دهلي » العاصمة في محرم ١٢٦٠هـ ولم يَتَجَاوَزْ عمرُه ١١ عامًا ؛ حيث بَدَأَ يَدْرُسُ « الميزانَ » و« المنشعبَ » في قواعد النحو والصرف العربيّة و« كل ستان » للشيخ مصلح الدين الشيرازي المتلقب بـ« سعدي » (نحو ٥٨٩- ٦٩٠هـ = ١١٩٣- ١٢٩١م) باللغة الفارسيّة، وتعلّم جميعَ العلومَ المعروفة المُتَدَاوَلة من والده، إلاّ الحديثَ الشريفَ الذي قَرَأَه على المحدث الشيخ عبد الغني المجددي — رحمه الله — (١٢٢٤- ١٢٩٦هـ= ١٨١٩- ١٨٧٨م) المتوفى والمدفون بالبقيع بالمدينة المنورة الذي كان من تلاميذ الشيخ الشاه محمد إسحاق المحدّث الدهلوي (١١٩٦- ١٢٦٢هـ = ١٧٨١- ١٨٤٥م) الذي كان سبطاً وخليفة وتلميذًا للشيخ الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي (١١٥٩- ١٢٣٩هـ = ١٧٤٦- ١٨٢٤م) ابن الشيخ الكبير الإمام الشاه وليّ الله الدهلوي (١١١٤- ١١٧٦هـ = ١٧٠٣- ١٧٦٢م) ابن عبد الرحيم المحدّث الدهلوي رحمهم الله جميعًا.

اشتغاله بالأعمال الدراسيّة والعلميّة:

وبعد وفاة والده الشيخ مملوك العليّ النانوتويّ — رحمه الله — التي وقعت في ١١/ ذوالحجة ١٢٦٧هـ الموافق ٧/ أكتوبر ١٨٥١م، ظلّ ماكثاً بدهلي لعام كامل، يشتغل بالتدريس، ثمّ تَوَجَّه إلى مدينة « أجمير » حيث وُلّي التدريسَ بالكليّة الحكوميّة.

جاء في مجموع رسائله المعروفة بـ« مكتوبات يعقوبي » : « تَوَجَّهَ إلى « أجمير » أستاذًا مُنْتَخَبًا بكليّتها براتب قدرُه ثلاثون روبية هندية — بعملة

ذلك العصر — وكان عندئذ صغيرَ السنّ جدًّا، فلما رآه عميدُ الكليّة قال: أما المولويّ فهو مُؤَهَّل، لكنه صغيرُ السن، فَوَصَّىٰ به العميدُ، فمُنِحَ منصبَ نائب المدير بالمديريّة؛ ولكنه لم يرضَ به، فوُجِّهَ إلى مدينة «بنارس» على راتب قدره (١٠٠) مائة روبيّة، ثم وُجِّهَ منها إلى مدينة «سهارنبور» مُكْرَمًا بمنصب نائب المُفَتِّش على راتب قدرُه ١٥٠ (مائة وخمسون) روبيّة. وكان بها إذ تفجرّت ثورة ١٨٥٧م».(١)

فَلَجأَ إلى وطنه «نَانَوْتَهْ» مُسْتَقِيْلاً من الوظيفة الحكوميّة، ثم عَمِلَ مُصَحِّحًا بمطبعة «المنشي ممتاز علي» بمدينة «ميروت» (Meerut). يقول هو في ترجمة الإمام محمد قاسم النانوتوي :

«أقام المنشي ممتاز علي مطبعةً بمدينة «ميروت» فدعا الشيخ محمد قاسم ليعمل بها، بما كانت العلاقات بينه وبينه قديمةً وطيدةً، فكان يقوم بمسؤوليّة التصحيح، وكان هذا العملُ حيلةً، ليتَّخذها ذريعةً لإبقاء الشيخ عنده، وقد صار هذا العاجزُ أيضًا مُوَظَّفًا مُصَحِّحًا في هذه المطبعة نفسها بمدينة «ميروت» مرورًا بكل من مدينة «بَرَيْلِي» ومدينة «لكهنؤ»(٢)

---

(١) مكتوبات يعقوبي (مجموع رسائل الشيخ محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله ص:٥، ط: تهانه بهون ١٩٢٩م.

(٢) ترجمة الإمام الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، بقلم الشيخ محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله، ضِمنَ (صحيفة نور) قاسم العلوم حضرة الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي، للشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي، ص:٢٠٥، ط: مكتبة نور، كاندهله، مظفرنغر، الهند.

رئاسته لهيئة التدريس بدارالعلوم/ ديوبند:

ثم انتقل إلى « ديوبند » سنة ١٢٨٣هـ الموافق لعام ١٨٦٦م و وُلِّيَ منصبَ هيئة التدريس وشياخة الحديث بدارالعلوم/ ديوبند. وظلّ يقوم بأداء مسؤوليّته فيها طوال ١٩ عامًا، حتى وفاته، وتَخَرَّج عليه فيها كبارُ العلماء الأفاضل، أمثال: الشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف بالديار الهندية بـ« شيخ الهند » (١٢٦٨- ١٣٣٩هـ = ١٨٥١- ١٩٢٠م) والشيخ الجليل والمصلح الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي المعروف في الديار الهندية بـ« حكيم الأمّة » (١٢٨٠- ١٣٦٢هـ = ١٨٦٣- ١٩٤٣م) والشيخ المفتي عزيز الرحمن الديوبندي (١٢٧٥- ١٣٤٧هـ = ١٨٥٨- ١٩٢٨م) المفتي الأكبر الأسبق بدارالعلوم/ ديوبند ، والشيخ الحافظ أحمد النانوتوي (١٢٧٩- ١٣٤٧هـ = ١٨٦٢- ١٩٢٨م) الرئيس الأسبق لدارالعلوم/ ديوبند، نجلُ الإمام محمد قاسم النانوتوي مُؤَسِّس دارالعلوم/ ديوبند، والشيخُ المحدّث خليل أحمد السهارنبوريّ رحمه الله (١٢٦٩- ١٣٤٦هـ = ١٨٥٢- ١٩٢٧م) مُؤَلِّف كتاب « بذل المجهود في حلّ سنن أبي داود، والشيخ حبيب الرحمن العثماني الرئيس الأسبق لدارالعلوم/ ديوبند (المتوفى ١٣٤٨هـ/ ١٨٩٧م).

مكانته في العلم والتزكية والإحسان:

كان الشيخ محمد يعقوب كبير الإفادة ، واسع النفع والتأثير في تلامذته ؛ حيث إنه شمل بنفعه العلمي والتربويّ شبهَ القارة الهنديّة ؛ لأنه لم يكن عملاَقًا في إتقان علوم الكتاب والسنة وشتى العلوم فقط ، وإنما كان

كذلك فارع القامة في فنّ التزكية والإحسان ؛ فكان المستفيدون منه يتشرَّبون في صحبته العلمَ والدينَ ، والتقى والعفافَ ، والزهدَ والورعَ ، والصلاحَ والتديّنَ معًا.

قال مُؤَلِّف كتاب «أشرف السوانح» — في ترجمة الشيخ الكبير العلاّمة الشهير أشرف علي التهانوي رحمه الله (١٢٨٠- ١٣٦٢هـ = ١٨٦٣- ١٩٤٣م):

«كان الشيخ محمد يعقوب النانوتوي إلى جانب إتقانه ونبوغه في كثير من العلوم، شيخًا كبيرًا وعارفًا بالله جليلاً، استفاد منه الشيخ أشرف علي التهانوي استفادة شاملة، وتشرَّب في صحبته الروحَ الدينية، ومعظمَ العلوم الغريبة ؛ فكان يكثر في لذّة أي لذّة، من ذكر الحقائق والمعارف والأقوال والأحوال الدينيّة التي تلقّاها منه، وكثيرًا ما كان يقول: إن مجلس درسه لم يكن مجلسًا للدرس فقط ، وإنما كان يكون مجلسَ الإنابة والالتفات ، وكان ربّما يُدَرِّس التفسيرَ، ويشرح معانيَ الآيات، والدموعُ الغزارُ تنهمر من عينيه».[1]

كان الشيخ محمد يعقوب النانوتوي قد بايع في التزكية والإحسان الشيخَ الكبيرَ الحاجّ إمداد الله المهاجر المكّي رحمه الله (١٢٣٣- ١٣١٧هـ = ١٨١٧- ١٨٩٩م) وفي صحبته تخرجّ في الإحسان، وكان يغيب كثيرًا ما عن الدنيا وما فيها، ويزهد في ما فيها الزهدَ كلَّه، ويُعْرِض عن الخلق وعلائقه. وما كَتَبه هو إلى أحد أتباعه: المنشي محمد قاسم النيانكري، من

---

(١) «أشرف السوانح»، ج:١، ص:٣، ط: المكتبة الأشرفية بدهلي.

الرسائل، يُمَثِّل صورةً للحقائق الإلهيّة ، والمعارف الرّبانيّة ، ودستورًا لفنّ التزكية والإحسان. إنه لائحةٌ عمليَّةٌ وأجندةٌ مستقلةٌ شاملةٌ لسالكي طريق التزكية والإحسان. إنّ هذه الرسائل تبعث على اتّباع السنّة وإطاعة الله تعالى.

زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة:

ورغم أنه كان يعلوه الوقارُ والسكينةُ والهيبةُ النابعةُ من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، — فكان يهابه الناس ولايجترؤن على مشافهته — كان يتعامل مع الكل بالتواضع وكريم الأخلاق، وكان مُسْتَغْنِيًا عما عند الناس كسَلَفه الذين كانوا يهتمّون فقط بجانب الآخرة ولايُبَالُون بجانب الدنيا.

يُرْوَىٰ أن أحدًا من أصحابه كان مُدِلاًّ به كثيرًا قال له ذات مرة: إنّ السرَيّ الفلان يودُّ أن لو زرتَه مرةً، فقال: سَمِعْتُ أنه يُهْدِي إلى كل «مَوْلَوِيّ» — مُثَقَّفَ بالثقافة الدينيّة الشرعيّة — يزوره مائةَ روبيّة، وبما أنه يدعوني إليه بنفسه، فقد يجوز أن يُهْدِي إليّ مأتي روبيّة. وما ذا تقع مني هذه المائة والمئتا روبيّة. إني لن أذهب إليه لأضع من مكانة «المَوْلَوِيَّة». [1]

يقول الشيخ الحكيم — الطبيبُ بالطبّ اليوناني العربيّ — أمير أحمد العشرتي، في مقدمة كتاب «مكتوبات يعقوبي» (رسائل الشيخ محمد يعقوب النانوتويّ):

يوجد مئاتٌ من تلاميذه في أنحاء بلاد الهند و«كابول» و«بخارا»، وهو عالم مُتْقِن للعلوم النقليّة والعقليّة، وإلى جانب كونه فاضلاً أجلَّ

---

(١) كتاب «الأرواح الثلاثة، ما بين الحكايتين ٤٣٩، ٤٤٠.

وعالمًا أكبرَ، كان شيخًا منيبًا إلى ربّه لاعلاقةَ له بما لدى الخلق، وكان طبيبًا روحيًّا إلى جانب كونه طبيبًا لأسقام الأجسام.

صورة من خَلقه وخُلقه:

« وكان جمِيلَ الوجه، جميلَ التأنّق، جميلَ الخُلق، جميلَ الخَلق، حلوَ الكلام، جميلَ اللهجة، وكان صاحب الفضل والإنابة، يتنبّأ – بفضل الله تعالى وبما يلهمه تعالى – بما سيكون ؛ لأنه كان ذا مكاشفة، وقد ظَهَرَ وتحقّق كثيرٌ مما تنبّأ، ويُنْتَظَر أن يتحقّق ما بقي من تَنَبُّآته » [(٢)].

وقد سُجِّلَت كثيرٌ من حوادث مكاشفاته. سَجَّلَ المؤرخون أنّه تطَرَّق ذات مرة في مسجد « تشته » – الذي كانت وُضِعَت فيه النواةُ الأولى لجامعة ديوبند – الحديثُ إلى أن الإنجليز قد رسخت أقدامُهم في الهند بشكل ربّما لاتزول عنها لأمد بعيد. وكان الشيخُ محمد يعقوب موجودًا في المجلس، فقال فَزِعًا: ماذا تقولون؟ إنّه قد يحدث أن يحكم هؤلاء ليلاً، ويحكم أولئك نهارًا، إن الهند ستنقلب كالصفّ دونما حرب.

وما حَدَثَ في ليلة ١٤ – ١٥ / أغسطس ١٩٤٧م، من يقول: إنه ليس تحقّقًا لما كان قد تَنَبَّأَ به بإلهام من ربّه الكريم الشيخ محمد يعقوب رحمه الله ؟!.

قناعتُه وتقشفه:

وبما أنه كان قَنُوعًا زاهدًا، فلم تُغْرِه المناصبُ العليا ذاتُ الرواتب الكبيرة، واكتفى بالراتب الزهيد الذي كان يناله من دارلعلوم/ ديوبند، فقد

---

(٢) الأرواح الثلاثة، ما بين الحكايتين ٣٣٩ و ٤٤٠.

سَجَّل المترجمون له أن الشيخ جمال الدين[١] الذي كان ذا منصب رئيس في إمارة « بهوبال » المسلمة ، وكان من تلاميذ والده الشيخ مملوك العلي رحمه الله ؛ فاحترامًا لعلاقته هذه المُشَرِّفة دعاه إليه في « بهوبال » ليُوَلِّيه وظيفةً مرموقةً ذاتَ راتب كبير ؛ لكنه ما رضي أن يُغَادِرَ دارالعلوم / ديوبند رغم الراتب المتواضع الذي كان يناله منها ، و وَجَّهَ إلى « بهوبال » مكانَه ابنَ اخته الشيخ خليل أختر الإنبهتويّ.

تشرفه بالحج والزيارة:

وقد حجّ رحمه الله مرتين ، كانت حجته الأولى سنة ١٢٧٧هـ الموافق لعام ١٨٦٠م ، برفقة كل من الشيخ الإمام محمد قاسم النانوتوي ، والشيخ مظفر حسين الكاندهلوي ، والشيخ الحاج السيّد محمد عابد الديوبندي ، وكانت رحلته إلى مكة المكرمة عن طريق البنجاب والسند. وقام بحجته الثانية سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م ، برفقة نحو مئةٍ من نخبةٍ من العلماء والمشايخ والصالحين من عباد الله ، أمثال : الإمام محمد قاسم النانوتوي ، وزميله في الدراسة المُحَدِّث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ محمد مظهر النانوتوي ، والشيخ محمد منير النانوتوي ، والشيخ محمود حسن الديوبندي

---

(١) كان المولويّ جمال الدين من سكان قرية جامعة مجاورة لدهلي ، اسمها « كوتانه » وُلِدَ سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وكان من تلاميذ الشاه عبد العزيز الدهلوي والشاه رفيع الدين الدهلوي رحمهما الله ، وكان يشغل منصب رئيس الوزراء بإمارة « بهوبال » الإسلاميّة ، وكان من محبي الشاه ولي الله الدهلويّ . توفي رحمه الله سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م .

المعروف بـ« شيخ الهند » – الذي كان من بين الطلاب الأوّلين في دارالعلوم/ ديوبند لدى تأسيسها – ومن إليهم.(٢)

نبوغه في الكتابة والشعر :

إلى جانب نبوغه في العلوم معقولاً ومنقولاً ، كان مُبَرِّزًا في النثر والشعر باللغتين الفارسيّة والأرديّة ، وكان كذلك يقول الشعرَ بالعربيّة جيِّدَ السبك ، رصينَ الصياغة ، لا تشوبه شائبةٌ من الركاكة أو العجمة ، وكان يتلقّب في الشعر بـ« گُم نَام » (ومعنى الكلمة حرفيًّا : مجهول الاسم) وقد ساعده على تبريزه في الشعر والنثر أنه عَاصَرَ في دهلي – حيث تعلّم و دَرَّسَ أيضًا – كثيرًا من كبار الأدباء والشعراء المطبوعين ، أمثال أسد الله خان (الميرزا أسد الله خان ١٢١٢- ١٢٨٥هـ = ١٧٩٧- ١٨٦٩م) المتلقب بـ« غالب » و« أسد » ؛ ومومن خان مومن (الحكيم مومن خان مومن ١٢١٥- ١٢٦٨هـ = ١٨٠٠- ١٨٥٢م) المتلقب بـ« مؤمن » ؛ والشيخ محمد إبراهيم (١٢٠٤- ١٢٧١هـ = ١٧٩٠- ١٨٥٤م) المتلقب بـ« ذوق » ؛ وإمام بخش (١٢٢١- ١٢٧٤هـ = ١٨٠٦- ١٨٥٧م) المتلقب بـ« صهبائي » ؛ والمفتي صدر الدين (١٢٠٤- ١٢٨٥هـ = ١٧٨٩- ١٨٦٨م) المتلقب بـ« آزرده » . وقد وَصَّى أحدَ أتباعه الذي كان يحبّه كثيرًا – وهو المنشي محمد قاسم النيانكري – بدراسة شعر كل من « درد » (خَواجَهْ مِيْر ١١٣٣- ١١٩٩هـ = ١٧٢١- ١٧٨٥م)

---

(٢) مكتوبات يعقوبي ، ص: ١٥١ .

و« سودا » (الميرزا محمد رفيع المعروف بـ « ملك الشعراء » نحو ١١١٨-١١٩٥هـ = ١٧٠٦- ١٧٨١م) و « ذوق » (الشيخ محمد إبراهيم المذكور) لأنّهم معجونون بالعاطفة والوَجْد والرقّة.

وقد سيق كثيرٌ من أبياته – رحمه الله – الفارسيّة والأردية في « بياض يعقوبي » الذي جُمِعَ فيه كثيرٌ من رسائله وأقواله الحكيمة ، الفائضة بالوصايا التعليميّة والتربويّة. وقراءتُه تؤكّد ما كان يمتاز به شعرُه من الرقة والعذوبة ، ورصانة الأسلوب ، ومتانة التركيب ، وإحكام النسج ، وبلاغة اللغة ، وسلاسة الصياغة.

مجموعات من كتاباته :

وهناك ثلاث مجموعات لكتاباته النثريّة : الأولى هذه التي بين يدي القراء في ترجمة الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله والتي تتجلى فيها قدرتُه الكتابيّة ، وأهليتُه البيانيّة ، ومقدرتُه الفائقة على التعبير عن كل ناحية من نواحي الحياة ، بأسلوب لا غموض فيه ولا تعقيد. وهي في الواقع نموذج حيّ لنثره المرسل السلس العذب البيان الذي يؤكّد أنه كان كاتبًا كبيرًا إلى جانب كونه شاعرًا مطبوعًا ، ومحدّثاً نابغًا ، وفقيهًا متقنًا ، وعالمًا بعدد من العلوم العقليّة من الهيئة والفلسفة ، والمنطق ، والعلوم الرياضيّة ، ولاسيما الحساب.

مجموعة أخرى لرسائله باسم « مكتوبات يعقوبي » تشتمل على ٦٤ من رسائله التي كتبها ردًّا على الاستفسارات التي وُجِّهَت إليه لاستطلاع

المعلومات الشرعيّة وحلّ المشكلات التي تعترض سبيلَ التزكية والإحسان لمن يسلكونه ، فَشَرحَ فيها المسائلَ الشرعيّةَ وقضايا التزكية والإحسان، بشكل يُؤَلِّف دستورًا شاملاً في هذا الموضوع .

والمجموعة الثالثة اسمُها « بياض يعقوبي » وهي تشتمل على أخبارِ رحلةِ حجِّه، وأسانيده في الحديث، وأبياتِه، وأورادِه، ووَصَفَاته العلاجيَّة حسب الطبّ اليونانيّ العربيّ الذي كان مُتَضَلِّعًا منه هو الآخر. وعلى كلتا المجموعتين الأخيرتين عَلَّقَ الشيخُ الكبيرُ والمربي المصلح الجليل العلاّمة أشرف علي التهانوي رحمه الله – الذي كان من تلاميذه الكبار – وشَرَحَ ما كان مُعَقَّدًا بالنسبة إلى عامَّة النّاس والعلماء قليلي البضاعة من العلم والفهم.

نموذج من شعره العربي :

ومن أبياته العربيَّة ما قاله في مدح السلطان عبد الحميد الثاني العثماني رحمه الله (١٢٥٨- ١٣٣٦هـ = ١٨٤٢- ١٩١٨م) :

الوَعْظُ يَنْفَعُ لَو بالعلم والحِكَمِ
فالسيفُ أَبْلَغُ وَعَّاظ عَلَى القِمَمِ
لَولاَهُ مَا بَلَغَ الدُّنْيَا لآخِرِهَا
وآضَ كُلُّ وُجودِ الدَّهْرِ فِي العَدَمِ
والسيفُ للضَّيْمِ إِعْدَامٌ بِهَيْبَتِهِ
كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدُّجَىٰ بِالنُّورِ فِي الظُّلَمِ
بِهِمَّةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مُنْتَصِرٌ
سيفٌ لِشُرْبِ دَمِ الْكُفَّارِ كُلُّ ظَمِي

أَكْـــرِمْ بِـــهِ مَلِكــاً لِلْمُـــسْلِمِيْنَ غَـــدَا
كَهْـــفَ الأَنَـــامِ مُزِيْـــلَ الْفَقْـــرِ وَالْعَـــدَمِ
الْخَـــانُ سُـــلْطَانُنَا عَبْـــدُ الْحَمِيْـــدِ غَـــدَا
ذا الْجُـــودِ وَالْفَـــضْلِ وَالإِحْـــسَانِ وَالْكَـــرَمِ
لَـــوْ لَـــمْ يَكُـــنْ – مَعْـــشَرَ الإِسْـــلاَمِ – نُـــصْرَتُهُ
لِلـــدِّيْنِ مَـــا كُنْـــتُمُ فِـــي الأَمْـــنِ وَالـــسِّلَمِ
لَـــوْلاَهُ لَـــمْ يَبْـــقَ لِلإِسْـــلاَمِ مِـــنْ شَـــرَفٍ
وَصِـــرْتُمْ – بِرَبِّـــي – لَحْمًـــا عَلَـــى وَضَـــمٍ
خليفَـــةُ الـــسَّلَفِ الْمَنْـــصُورِ دَائِمَـــةً
مِـــنْ آلِ عُثْمَـــانَ خَيْـــرِ النَّـــاسِ كُلِّهِـــمِ
النَّـــاسُ فِـــي طِيْنَـــةٍ فِـــي الأَصْـــلِ وَاحِـــدَةٍ
وَقَـــدْرُهُمْ لَعَلَـــى الأَقْـــدَارِ فِـــي الْهِمَـــمِ
حُرِّيَّـــةُ الـــنَّفْسِ لِلإِنْـــسَانِ جَـــوْهَرَةٌ
فَقِيْمَـــةُ الْمَـــرْءِ تَعْلُـــو مِنْـــهُ فِـــي الْقِـــيَمِ

وفاتـــــه :

وقد توفّاه الله في ليلة الإثنين ٣/ ربيع الأول ١٣٠٢هـ الموافق ٢٢/ نوفمبر ١٨٨٤م.

وقد جاء في « مكتوبات يعقوبي » بقلم بعض محبيه :

فوجئ الشيخ محمد يعقوب النانوتوي في ليلة السبت ١/ ربيع الأول ١٣٠٢هـ بعد انتهائه من أداء صلاة العشاء بإصابته بمرض الهيضة (الكوليرا)

وظلّ مغمى عليه حتى مات في نحو الساعة الواحدة من ليلة الإثنين : ٣/ ربيع الأول ١٣٠٢هـ .

وقد وُرِّيَ جثمانُه على الجانب الشمالي من « نانوته » على مسافة نحو كلومتر من البلدة بجنب الشارع الواصل بين دهلي وسهارنبور على الجانب الغربي منه في بستان للأنبج . رحمه الله ، وجعل جنّةَ الفردوس مثواه.

(تحريرًا في الساعة ٩ من ليلة يوم الثلاثاء : ١٨/ محرم ١٤٣١هـ = ٥/يناير ٢٠١٠م)

بقلم : **الكاتب الإسلامي الشيخ نور عالم خليل الأميني**

رئيس تحرير مجلة « الداعي » العربية

وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية : دارالعلوم

ديوبند ، يوبي ، الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله في سطور

الاسم: «محمد قاسم» والاسمُ التاريخيُّ – أي الذي يُسْتَخْرَج منه تاريخُ ولادته – «خورشيد حسين».

تاريخُ ولادته: شعبان أو رمضان ١٢٤٨هـ (يناير – فبراير ١٨٣٣م) حسب ما كتبه الشيخ «محمد يعقوب» النانوتوي رحمه الله في الترجمة له. أما حسب ما سُجِّل في «بياض يعقوبي» (مجموع رسائل الشيخ محمد يعقوب) فتاريخُ ولادته شوال ١٢٤٨هـ (مارس ١٨٣٣م).

اسمُ والده: الشيخ «أسد علي» المتوفى يوم الإثنين ٧/ ربيع الثاني ١٢٩١هـ الموافق ٢١/ مارس ١٨٧٥م ابن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين بن محمد فتح بن محمد مفتي بن عبد السميع بن محمد هاشم. الذي ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد سَكَنَ الشيخ محمد هاشم بلدة «نَانَوْتَهْ» على عهد الإمبراطور المغولي المسلم أبي المظفر شهاب الدين شاهجهان الذي حكم الهند في الفترة ما بين ١٠٣٧هـ / ١٦٢٨م و ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م.

وطنه ومسقطُ رأسه: بلدة « نَانَوْتَهْ » Nanauta إحدى القرى الجامعة بمديرية « سَـهارَنْبُورْ » Sharanpur بولايـة « أُتْرَابَـرَادِيش » Uttar Pardesh بالهند في الجهة الغربيّة الشماليّة من « ديوبند » على بعد نحو ٣٠ كلو مترًا منها.

تعليمه :

تلقّى مبادئ القراءة في وطنه « نَانَوْتَهْ » وقرأ بها القرآن الكريمَ ثم انتقل إلى « ديوبند » وقرأ بها في كتّاب على الشيخ « نهال أحمد » مبادئ العربية ، ثم انتقل إلى « سهارنبور » وقرأ بها على الشيخ « محمد نواز » السهارنبوري كتبَ الفارسيّة والعربيّة الابتدائيّة.

ثم انتقل مع أستاذ الأساتذة الشيخ « مملوك العلي » النانوتوي رحمه الله (١٢٠٤هـ/ ١٧٧٩م — ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م) إلى دهلي عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م ، وبدأ يقرأ عليه « الكافية » في قواعد النحو ، وأتمّ قراءة جميع الكتب الدراسيّة عليه ، وقرأ كتب الصحاح الأربعة : صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي وموطأ الإمام مالك على الشيخ الشاه « عبد الغني » المجددي رحمه الله (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م — ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م) وقرأ سنن أبي داود وسنن النسائي وجزءًا من موطأ مالك على الشيخ المحدث « أحمد علي » السهارنبوري رحمه الله (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م — ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م) وبايع في التزكية والإحسان الشيخَ الكبيرَ الحاج « إمداد الله » الفاروقي التهانوي المهاجر المكّي رحمه الله (١٢٣٣هـ / ١٨١٨م — ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م). وكان الشيخ « محمد قاسم » قد ألحقه الشيخ « مملوك

العلـي » بعـد إنهائـه عليـه الكتـبَ الدراسـيّةَ اللازمـة بالكليـة العربيّـة الـشهيرة بدهلي ، التي كانت تديرها الحكومة الإنجليزية الاستعمارية ، وكـان الـشيخ « مملوك العلـي » رحمـه الله مـن كبـار أسـاتذتها ، وقـد فـاق الـشيخ النـانوتوي جميعَ زملائه في الدراسة فيها ؛ ولكنه عندما اشتهر مكانُـه وعـلا شـأنُه غـادر الكليّةَ دون أن يؤدي امتحانَها السنويّ ، مما آسف جميعَ الأساتذة والمسؤولين ولاسـيما عميـد الكليّـة المستر « جوزيـف هينـري تـايلر » (Joseph Henry Taylor)؛ ولكنّـه كـان يكـره الـشهرةَ ؛ لكونـه مطبوعًـا علـى التواضـع وإنكـار الذات والزهد البالغ في الظهور.

عملُه مصححًا :

ثـم عَمِـلَ مُـصحِّحًا لنـصوص الكتـب العلميّـة في المطبعـة الأحمديّـة بدهلي التي كان يملكها المحدث « أحمد علي » السهارنبوري رحمه الله.

وقـد عمـل مـصححًا في ثـلاث مطـابع : أولاً في المطبعـة الأحمديـة بـدهلي ، ثـم في المطبعـة المجتبائيـة بـ« ميروت » الـتي كـان يملكهـا أحـدُ محبيـه والْمُعْجَبِين به الشيخ المنشي « ممتاز علي » ، ثم في ا لمطبعـة الهاشميّـة بهـا الـتي كان يملكها الشيخ « هاشم علي » .

كتابتُه تعليقات على صحيح البخاريّ:

كما كتب تعليقات على الأجزاء الثلاثة الأخيرة مـن صـحيح البخـاريّ على أمر من أستاذه الشيخ « أحمد علي » المحدّث السهارنبوري.

زواجُـه :

وقـد تمّ زواجُـه في « ديوبنـد » مـع كريمـة الـشيخ « كرامـت حـسين »

الديوبندي عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م.

أولاده:

وُلِدَ له ابنان وثلاث بنات. أما الابنان فهما: الشيخ «أحمد» رحمه الله (١٢٧٩هـ / ١٨٦١م — ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م) الذي تعلم في كل من «منبع العلوم» بـ«كلاؤتهي» Gulawthi بمديرية «بُلَنْدْ شَهَر» Bulandshahar بولاية «أترابراديش» والمدرسة العربية بـ«مرادآباد» Moradabad بولاية «أترابراديش» وقرأ الحديث على الشيخ «رشيد أحمد» الكنكوهي رحمه الله (١٢٤٤هـ / ١٨٢٩م = ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) وشغل منصب رئيس الجامعة بالجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند في الفترة ما بين ١٣٣٣هـ / ١٨٩٥م و ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م أي إلى وفاته.

والابن الثاني: الشيخ «هاشم» وُلِدَ نحو عام ١٢٧٩هـ، وتعلّم في دار العلوم / ديوبند، وما تمكن من إنهاء دراسته؛ إذ فاجأتْه المنيّةُ في شبابه بمكة المكرمة.

أما البنات فهن: «إكرام النساء»، و«رقيّة»، و«عائشة». وكلهن تزوجن، و ولدن الأولاد إلاّ الأخيرة التي لم تلد، وتُوُفِّين بعد ما عشن حياةً لم تكن قصيرة.

- وقد سَاهَمَ مساهمةً فعّالةً في ثورة ١٨٥٧م الشهيرة ضدّ الإنجليز المستعمرين؛ وحارب الجيشَ الإنجليزيَّ في معركة «شَامْلِي» Shamli بمديرية «مظفرنكر» Muzaffarnagar

بولاية « يوبي ». وأصابه جروح، ولكن الله شفاه منها.

- وبما أن الإنجليز سَجَّلوا اسمَه ضمن المجرمين الكبار، فظلّ مدة من الزمان مختفيًا، متنقِّلاً بين القرى والأرياف.وبعد ما أعلنت الحكومة الإنجليزية العفوَ العامَّ، عاد الشيخ إلى بيته ثم عمل مُجَدِّدًا مُصَحِّحًا في المطبعة المجتبائيّة بمدينة « ميروت ».
- وحَجَّ ثلاث مرّات. كانت حجتُه الأولى سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م وحجّتُه الثانية ١٢٨٦هـ / ١٨٧٠م وحجّتُه ا لثالثة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م.

من مآثره الخالدة:

١- إقامة سلسلة من الكتاتيب والمدارس الأهلية، على أساس تبرعات شعبيّة عامّة من المسلمين ولاسيّما فقراء الشعب المسلم؛ لأنّه كان يعلم أنّهم أشدّ إخلاصًا في الأغلب من أثرياء المسلمين وأمرائهم.

وعلى رأس هذه المدارس الجامعة الإسلامية: دار العلوم بمدينة « ديوبند » التي أسّسها بتعاون من زملائه الكبار بشكل كتّاب باسم « المدرسة الإسلاميّة العربيّة بديوبند » يوم الخميس: ١٥/ محرم ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠/ مايو ١٨٦٦م، أي بعد ثورة ١٨٥٧م الشهيرة – التي قام بها الهنود ولاسيّما المسلمون ضدّ الاستعمار الإنجليزي – بستة أعوام فقط.

وكانت هذه الجامعةُ ركيزة أساسيّة في محاولة الإبقاء على الكيان

الإسلامي في شبه القارة الهندية، والحيلولة دون تكرار ما حدث مع المسلمين في الأندلس من إعدامهم فيها أو إقصائهم منها كليًّا وطمس كل شيء يتصل بالإسلام.

ولم تكن جامعة ديوبند – التي تفجّرت منها ينابيعُ معاهد العلم والفكر والدعوة، ومراكز التعليم والتربية، والتزكية والإحسان، وصارت أم المدارس والجامعات التي أُسِّسَتْ بكثرة وتواصل للمرابطة على الثغر الإسلامي في هذه الديار الشرقيّة – مجردَ جامعة إسلاميّة لتعليم علوم الكتاب والسنة ونشرها بكل الأشكال، وإنما كانت كذلك حركة شاملة واسعة عمّت الهند بأرجائها واطّردت واتّصلت، وأثمرت وأينعت ثمارُها؛ فكلُّ ما نشاهده اليوم من حركات دينية ودعوية، وتعليمية وتربويّة، وسياسيّة واجتماعيّة تخدم الشعب المسلم بأساليب لا تُحْصَى، معظمُها ترجع إلى جامعة ديوبند مباشرة أو غير مباشرة.

كما أنّ الهند إنّما استقلت وتحررت من ربقة الاستعمار الإنجليزي أصلاً بفضل نضال وجهاد بُنَاتِها وأبنائها الأولين الكبار الذين كانوا طلائع النضال ضدّ الاستعمار الإنجليزي.

وقد أسس النانوتوي بالإضافة إلى جامعة «ديوبند» بيديه مدارس أخرى عديدة، كمدرسة «منبع العلوم» بمدينة «كلاؤتهي» (Gulawthi). و«مدرسة الغرباء» بمدينة «مرادآباد» (Moradabad) التي تعرف الآن بـ «الجامعة القاسمية مدرسة شاهي».

٢- مناظراته مع العلماء الهندوس والمسيحيين:

حضوره « عيد التوصّل إلى المعرفة بالله » بقرية « تشاندابور » (Chandapur) بمديرية « شاهجهانبور » (Shahjahanpur) بولاية « أترابراديش ».

إنّ الإنجليز المستعمرين بدهاء من عندهم أنهضوا الهندوسَ ضدَّ المسلمين خلال حكومتهم الاستعمارية، ليضربوا عصافير كثيرة بحجر واحد. وذلك أن المسلمين هم الذين حكموا الهندَ قرونًا طويلة؛ فكانت لهم قيمة سياسيّة عندما غزا الاستعمارُ هذه البلادَ، وبسياستهم الماكرة منحوا فرصةً للهندوس لكي يتقدموا سياسيًّا واقتصاديًّا، ويتخلف المسلمون في جميع المجالات، وعندما تقدّم الهندوس فعلاً في المجالين السياسي والاقتصاديّ، همسوا في آذانهم أنّهم يفضلون المسلمين ديانةً أيضًا، وأثاروا فيهم الرغبة في المناظرة مع المسلمين، و أوجدوا لذلك مناسبات.

في قرية « تشاندابور » المجاورة لمدينة « شاهجهانبور » عُقِدَ يوم ٨/ مايو ١٨٧٦م « عيد التوصّل إلى المعرفة بالله » بدعوة كل من الهندوسي الثري ملاّك الأراضي الواسعة « بياري لال » Peiare Lal والقس « نولس » Nols وبتأييد من حاكم المديرية « رابرت جورج ». ودُعي لحضوره عن طريق الإعلانات العامّة ممثلون لكل من ديانات الإسلام والمسيحية والهندوسيّة، حتى يقوموا فيه بإثبات دياناتهم أي حقيّتها، وحضرها عددٌ من علماء الإسلام، وكان على رأسهم الإمام محمد قاسم ا لنانوتوي، الذي ألقى في

إبطال ودحض كل من التثليث والإشراك بالله وإثبات ا لتوحيد محاضرة قيمة جدًّا أفحمت كلاً من علماء المسيحية والهندوسيّة.

وفي السنة التالية أيضًا عُقِدَ هذا العيد، وحضره عدد أكبر من علماء المسيحية وعلماء الهندوس إلى جانب عدد من علماء المسلمين، وقد ألقى فيه الإمام النانوتوي محاضرة قيمة حول مواضيع الوجود والتوحيد والتحريف في الإنجيل، لم يقم أحد من القساوسة والعلماء الهندوس ليُفَنِّدوها في ضوء دلائل تقنع الحضور.

مناظرة مدينة «روركي» بولاية أترابراديش:

في عام ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٧٧م بعدما عاد الإمام النانوتوي من رحلة الحج والزيارة وأصابه في جدّةَ مرضٌ شديدٌ، بقي معه طويلاً، بلغه أن العالم الهندوسي البندت «ديانند سرسوتي» قدم مدينة «روركي» ويُوَجِّه إلى الإسلام ا عتراضات؛ فحضر الإمام المدينةَ، ودعا البندت إلى النقاش على مرأى من الناس؛ ولكنه ما رضي بذلك، وهرب من المدينة، فألقى الإمامُ محاضرات في الحفل العامّ، وتحدّى فيها البندت، وفنّد جميع ما وجهه من الاعتراضات إلى الإسلام والانتقادات التي أوردها عليه.

ثمّ نزل البندت بمدينة «ميروت» وبثّ هذه الاعتراضات ضدّ الإسلام في المدينة، فحضر الإمامُ هذه المدينة أيضًا، وفنّد جميع ما أورده من الاعتراضات على الإسلام في الحفل العامّ؛ لأن البندت لم يرض بمناظرته على مرأى من الناس.

٢- قيامه بحركة تزويج الأرامل:

قيامه بحركة تزويج الأرامل، مأثرة من مآثره الخالدة تأتي ضمن الأعمال الاجتماعيّة الإصلاحيّة التي قام بها لتطهير المجتمع الإسلامي مما عَلِق به من تقاليد وعادات غير إسلاميّة، وتسرّبت إلى كل نواحي الحياة بخطى وئيدة. وذلك من جرّاء جوار الهندوس المُوَزَّعين على كثير من الطبقات التي قاسمُها المشترك: الإشراك بالله.

وقد ظلّ تزويج الأرامل يُعَدُّ في مجتمع المسلمين أيضًا من الأعمال العائبة جدًّا لنهاية القرن الثالث عشر الهجري. وكان المسلمون يعلمون أن الزهد في زواج الأرامل عادة سيئة للغاية وتقليد غير إسلاميّ، لا يقرّه الإسلام بأي شكل؛ وقد عمل كبار العلماء والمصلحين المسلمين طويلاً على مكافحة هذا التقليد غير الإسلامي؛ ولكنه لم يَمَّحِ من المجتمع، وسعى النانوتوي رحمه الله سعيًا حثيثًا في هذا المجال، وأثمر سعيُه، فمال المسلمون إلى العمل بزواج الأرامل عن طواعية ورضا نفس. وقد بدأ رحمه الله بتطبيق ذلك في المجتمع بإرضاء شقيقته الأرملة – التي كانت تكبره، وكانت مُسِنَّة – بالزواج، مما جعل المسلمين يبادرون إلى زواج الأرامل. ومع الأيّام، صار تقليدُ عدم زواج الأرامل شيئًا منسيًّا وغير مذكور في المجتمع الهندي الإسلامي.

مُؤَلَّفَاتُه:

له تأليفات كثيرة ما بين تصحيح ومراجعة وتحقيق الكتب وتأليفاته مباشرة. وقد كان له قلم سيّال منذ حداثة سنّه، إلى جانب تحسينه للخطّ؛

فكان خطُّه رائعًا جميلاً. وتبلغ تأليفاتُه أكثر من أربعين ؛ ولكنها جميعًا غير موفَّرة بين الناس ؛ حيث ضاعت كتاباته الأوّليّة ، وبعضُ كتاباته العلميّة والفكريّة التي دَبَّجته يراعته عندما نضج علمه وقلمه. وجميعُ تأليفاته تؤصّل العقيدة ، وتؤكّد دلائل حقيّة الإسلام ، وصحة عقائده وانبناء أحكامه على أسس متينة من ا لمصالح العقليّة والحكم ا لربّانيّة ، بحيث إنها – الأحكام الإسلاميّة– ترضي العقل الإنسانيّ ، وتقنع الفكر البشريّ ، إلى جانب صدورها عن الله عز وجلّ عن طريق نبيّه الأعظم سيدنا ونبينا عبد الله ورسوله الخاتم محمد ﷺ .

وفيما يلي قائمة لبعض تأليفاته :

١- محاضرة أُلْقِيَتْ في تأييد عقيدة الإسلام وتفنيد عقائد غيره. بعنوان : « تنوير النِّبراس على من أنكر تحذير الناس »
٢- رسالة جزء لا يتجزأ بعنوان : « كلمة الله هي العليا »
٣- رسالة شرح حديث « فضل العالِم كفضلي على أدناكم »
٤- آب حياة (ماء الحياة)
٥- الأجوبة الأربعون
٦- الأجوبة الكاملة في الأسئلة الخاملة
٧- الدليل المحكم على قراءة الفاتحة للمؤتم
٨- توثيق الكلام في الإنصات خلف الإمام
٩- الأسرار القرآنية

١٠- انتباه المؤمنين

١١- انتصار الإسلام

١٢- تحذير الناس

١٣- التحفة اللحميّة

١٤- تصفية العقائد

١٥- تقرير دل پذير (المحاضرة الآسرة للقلب)

١٦- محاضرة في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ

١٧- «جواب تركي بتركي» (الجواب المفحم)

١٨- حجّة الإسلام

١٩- الحق الصريح في إثبات التراويح

٢٠- قبله نما (الْمُوَجِّه للقبلة)

٢١- القصائد القاسمّية (ديوان شعره الفارسي والأردي والعربي)

٢٢- گفتگوئے مذهبي (المباحثة حول الدين)

٢٣- المباحثة (المناظرة) حول عقائد الإسلام المعروفة بـ« مباحثه شاهجهانبور».

٢٤- مصابيح التراويح

٢٥- المناظرة العجيبة

٢٦- هدية الشيعة (في الردّ على عقائدهم الباطلة)

٢٧- «جمال قاسمي» (مجموع رسائله)

٢٨- فرائد قاسمية (مجموع رسائله)

٢٩- فيوض قاسميه (مجموع رسائله)

٣٠- أحكام الجمعة

٣١- قاسم العلوم

٣٢- أين كان الله قبل خلق الكون

٣٣- المكتوبات القاسمية

٣٤- أسرار الطهارة

مرضه و وفاته :

بعد مرض ألمّ به ودام طويلاً، توفي رحمه الله في ٤٩ من عمره يوم الخميس ٤/ جمادى الأولى ١٢٩٧هـ الموافق ١٥/ أبريل ١٨٨٠م بمدينة « ديوبند » و وُرِّي جثمانه في قطعة أرضيّة وقفها لدفنه في الجانب الشمالي من المبنى الأصلي الأوّلي لدار العلوم/ ديوبند الشيخُ الحكيمُ (الطبيب بالطب اليونانيّ العربي) مشتاق أحمد، عُرِفَتْ فيما بعد بـ« المقبرة القاسميّة » وهي مقبرة تضم جثمانات كبار علماء ومشايخ دار العلوم/ ديوبند إلى جانب مئات من الدعاة والصلحاء الآخرين. رحمه الله، وجَعَلَ جنة الفردوس مثواه .

● كان الإمام النانوتوي في العصر الأخير جُنّة للإسلام والمسلمين، بعلمه الغزير، وفكره المستنير، وعقله المتفتح، وذكائه الثاقب، وتعمقه في علوم الكتاب والسنة، وتشرّبه لروح الدين وأسراره وحكمه ومصالحه، وكونه حاملاً لسانًا ذربًا بليغًا، وعلمًا حاضرًا، ومقدرة بيانيّة فائقة في الكتابة

والخطابة معًا، إلى جانب صلاحه وتقواه وإنكاره لذاته وتواضعه الذي كان لا يوجد نظيره حتى في عصره، قد كان يستر حسناته كما يستر أحدُنا سيّئاته، إيمانًا منه بأن الله تعالى عند ما يشهر أمر عباده، ويُطْلِع الناس على صلاحه وحسناته، ربّما يُعَجِّل له جزاءه في الدنيا، ولا يدخر له شيئًا في الآخرة.

وله في ذلك قصص كثيرة مدونة في الكتب التي ألّفها القوم، ومُتَنَاقَلَة على ألسنة الناس. ولن يكون صاحبها إلاّ عبدًا محبوبًا لدى ربّه الشكور، يختاره الله ليكون نافعًا للناس والأمة المسلمة فيمكث ذكره في الأرض.

بقلم : **الشيخ نور عالم خليل الأميني**
رئيس تحرير مجلة «الداعي» العربية
وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية : دارالعلوم
ديوبند ، يوبي ، الهند
تحريرًا في الساعة ٩ من صباح يوم السبت ٢٩| محرم ١٤٣١هـ
الموافق ١٦| يناير ٢٠١٠م

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإن تاريخ الهند الإسلامي يزخر بأعلام وفطاحل في كل علم وفن، وفي كل عصر، «ولو أن كل كاتب وأديب أخذ من تاريخنا الإسلامي على مقدار طاقته، وعلى أسلوبه وطريقته، وبلغ ما أخذه، وصدر عنه ألف كتاب، لما نقص من كنوز تاريخنا شيء». كيف؟ وقد حكم المسلمون الهند قرابة ألف عام: مملكةً واسعة المدى، مترامية الأطراف، كثيرة الجيوش، وافرة الخيرات. فزائر الهند — بما يرى فيها من آثار الإسلام — يظن نفسه في الأندلس ؛ بل أندلس أجل وأكبر.

والإمام النانوتوي — رحمه الله — من أولئك القوم الذين باعوا نفوسهم لله مجاهدين، ونسوا حاجات بطونهم وغرائزهم، وتجردوا من رغبات الغنى والجاه وكل ما يتزاحم عليه الناس، واستهانوا بكلِّ صعب في سبيله.

وترجمة النانوتوي هذه يُعْتَبَرُ — حقًّا — أصلاً أصيلاً لسائر التراجم التي كُتِبَتْ فيما بعد ؛ إذ هي بريشة رجل عاشه صبيًا وعاشه رجلاً فوجده خير أطفال وخير رجال.

وهذه الترجمة – على اختصارها – صورة شاملة دقيقة تجمع تفاصيل جانبية تدل على اهتمام كاتبها بشتى جوانب حياة الإمام النانوتوي من أفراحه وأتراحه، وجده ولهوه، وأنه ظل يتصيد أخباره: حركاته وسكناته وألفاظه وألحاظه، ويقيدها تقييدًا دقيقًا أمينًا، لا يفلت منه خبر، ولا يخفى عليه حقيقة.

هذا، ومعظم علماء الهند في عصورنا الأخيرة، وسيما بُناة جامعة «ديوبند» وأبنائها ظلوا مغمورين لم يُكْتَبْ عنهم شيء، وإن كان في كل صفحة من صفحات حياتهم مبعث إلهام للأديب والكاتب، وكنز من كنوز العقل والقلب لا يفنى: من بطولات وتضحيات، ومفاخر ومآثر، وعلوم وفنون.

وإن من حقهم علينا أن نحيي سيرتهم، ونجدد ذكرهم، ونبين مبادئهم؛ فكثير من شبابنا – اليوم – يجهلون تاريخهم مع قرب العهد بهم، وتأثرنا بمبادئهم، وآرائهم في حاضرنا ومستقبلنا.

وهذه كلمات تُوَخِّيَتْ من ورائها أن يكون باعثًا للأدباء، يستثير هممهم. عَلَّهم يقبلون على هذا المنجم البكر، فيستخرجوا من كنوزه، ويعرضوا على الناس جواهره ما وسعهم ذلك.

عملي في الكتاب:

١- ترجمت معاني الكتاب إلى اللغة العربية ترجمةً أقرب ما يكون إلى الأصل ما استطعت.

٢- خرّجت الحديث والأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب اللهم إلا أعلامًا لا تتجاوز عددهم أصابع اليد، حيث لم أعثر على من ترجم لهم فيما وصلت إليه يدي من كتب التراجم.

٣- خرجت الأماكن الوارد ذكرها في الكتاب، وحاولت أن أحدد بعدها – بالنسبة لمدن الهند – من دهلي عاصمة البلاد، كما صرحت بحروفها الإنجليزية تقريبًا لها إلى الأذهان.

٤- هناك هوامش – اثنان أو ثلاثة – عملها مؤلف الكتاب وأشرت إليها بـ (المؤلف).

٥- واعتمدت في تحديد البعد من العاصمة على هذا الكتاب (Train at a Glance) يوليو عام ١٩٩١م الجدول لمواقيت القطارات الهندية، ومحطاتها، وأبعادها من العاصمة، وغيرها من أهم مدن البلاد.

ولا يفوتني أن أرفع أسمى آيات الشكر والاحترام إلى شيخنا ومربينا حضرة الأستاذ الكبير / نور عالم خليل الأميني، رئيس تحرير مجلة «الداعي» وأستاذ الأدب العربي بجامعة ديوبند – حفظه الله ورعاه ونفعنا بعلمه الجم، وقلمه الرشيق السيال، وأدبه الفياض – إذ هو الذي أمرني ورغَّبني ثم شجّعني على نقل هذا الكتاب إلى لغة العرب، ولا أعدو الحقَّ لو قلت: إنه لم يكن لي أن أقطع هذه السبيل الوعرة لولا توجهاته الغالية، وتشجيعاته المتواصلة، وليس ذلك إلا انطلاقًا من حبه الصادق لله ولرسوله، ولسلف الأمة، وحرصه الكبير على أن يشعر أبناؤه وتلامذته

شعورَه ويحسوا إحساسَه لآمال الأمة وأحلامها، وآلامها ومعاناتها؛ حتى يستيقظ فيهم وعي الكتابة والعرض الجيد لما يجول في الخواطر، وما يحمله التراث الإسلامي من جواهر مما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم، كما أسعدني فضيلته بنشر هذا الكتاب في حلقات من مجلته الغراء: «الداعي»، فجزاه الله تعالى عني كما يليق بكرمه وعظيم سلطانه، وألبسه ثوب العافية.

هذا، وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي هذا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون... والله الموفق.

محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

كتب في «مبارك فور» سلخ جمادى الأولى ١٤٢١ هـ.

اللّهم لقد تجلَّت قدرتك فيما تطلعه علينا وتخفيه عنا من شموس برزت من خدرها لتبهر الأنظار ثم تأفل. اللهم ! لك الثناء ولك الصفات العلى ولك الحمد، ولك الفضل والكمال، تعاليت عن كل عيب، برئت عن كل شين، وبيدك كل شيء من بر وبحر، ما السماء إلا عُبَاب، وما الأرض إلا قبضة بيدك. أنت الأكبر المتعالي، فأنَّى لي الثناء عليك، وقد قال فخر الأولين وسيد المرسلين المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».[1] وأصلي وأسلم – صلاةً وسلامًا يعد بمئات الآلاف أو ما لا أعده ولا أحصيه – على روحه الطاهرة، وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى جميع الأرواح الطيّبة الطاهرة، والعلماء، والزهاد، والأتقياء أما بعد !

فيقول العبد الضعيف «محمد يعقوب النانوتوي»[2] بن مقدام العلماء

---

(١) حديث: اللّهم لا أحصي ثناءً عليك... رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٢، برقم: ٢٢٢، ط: الحلبي) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) هو محمد يعقوب بن مملوك العلي (المتوفى ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م) من أتراب الإمام النانوتوي، عالم جيد، واسع الشهرة. تلقّى العلمَ عن أبيه «مملوك العلي» في «دهلي». وتنقل في عدة مدارس، وعندما اتسعت هيئة التدريس بجامعة «ديوبند» اتُّخِذ أول رئيس لها، وقضى حياته وهو يشغل هذا المنصب المرموق. وممن أخذ عنه: حكيم الأمة الشيخ «أشرف علي التهانوي» وشيخ الهند «محمود حسن الديوبندي»، و«فخرالحسن الكنكوهي» (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأستاذ «أسير الأدروي، ص:٣٦ ط: أكاديمية شيخ الهند، بدار العلوم ديوبند).

«مملوك العلي النانوتوي»(١) لأصحابه: إنكم سألتموني أن أسجل ما خزنته الذاكرة من ذكريات تخص حياة وأعمال «حضرة الشيخ محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله رحمةً واسعةً – » وهو أمر جدير بالعناية لتبقى تذكرةً وذكرى لنا، ولمن بعدنا. فاستجابةً لطلبكم – رغم قلة فراغي – أسجل ما تساعده الذاكرة، وأجمله إجمالاً فأقول:

مولده:

و «حضرة الشيخ» أسن مني بشهور، فهو من مواليد شهر شعبان أو رمضان(٢) عام ١٢٤٨ هـ و اسمه المركب حسب الأرقام الأبجدية:

«نانوته»: قصيبة عامرة لم يكن طقسها بهذه المثابة من الفساد، غير أن النهر الذي شق في المنطقة أفسد من مناخها، وقلل من سكانها. وهي على ٢٧ك م من «كنكوه» شرقًا، وعلى ٣٦ ك م من «ديوبند» غربًا، وعلى ٤٥ ك م من «سهارن فور» جنوبًا، وعلى نحو ١٨٠ك م من «دهلي» العاصمة شمالاً. (المؤلف)

(١) مملوك العلي النانوتوي (م ١٢٦٧هـ = ١٨٥١م) رجل فحل بارز في العلوم والفنون، من أكبر النابهين في عصره، أخذ العلم عن الشيخ «رشيد الدين الدهلوي» – تلميذ المحدث الشاه «عبد العزيز الدهلوي» – جمع إلى العلوم العقلية، من الفلسفة والحكمة العلوم النقلية، وحاز القدح المعلى فيها، تبوأ مركزَ الرياسة في الكلية العربية التي كانت تديرها الإنجليز في دهلي. وذلك لم يمنعه أن يبديَ بغضه وكراهيتَه للإنجليز وحكمِهم في البلاد. قال أحد النابهين: «إنه لو نفدت الكتب كلها لما صعب عليه أن يمليها مما خَزَنَتْهُ ذاكرتُه من كتب العلوم والفنون».
وأخذ عنه خلق كثير لا يحصَون بحدّ ولا عدّ، أمثال: الإمام النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي؛ توفي في «دهلي». (راجع: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني، ٤٨٧/٧، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن، الهند، والإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٣٥-٣٦)

(٢) يتبين سنة ميلاده من خلال اسمه المركب حسب الأرقام الأبجدية و لم يضبط شهره ويومه، والذي

« خورشيد حسين ». ويربطني به – علاوةً على القرابة النسبية – أمور عدة: فقد شاركتُه في الكُتّاب وفي الوطن و في السِلف، والمعلم، و وقت الدراسة. كما قرأت بعض الكتب على « حضرة الشيخ » نفسه – وبايعنا في التزكية والإحسان شيخًا واحدًا، وسافرنا معًا سفرتين للحج، وصحبنا زمنًا طويلاً إلا أني بحكم قدراتي القاصرة – عجزت عن اغتنام هذه الفرصة، والاستفادة منه.

و والده الشيخ « أسد علي »(١) وإن صحب والدي – رحمه الله – إلى « دهلي »، وقرأ الكتب أمثال: « شاه نامه » وقصّ – علينا – أيام دراسته قصصًا إلا أنه لم يكن يميل إلى الدراسة ميلاً، ولم يواصل دراسته، فقضى حياته في الزراعة ؛ يمثل أهل القصبات، والقرى الكبيرة في أخلاقهم

أذكره أنه ربيع الثاني أو جمادى الأولى، ولا أحفظ تاريخه، فرجعت إلى من لديه علم بذلك فيما أظن إلا أنهم اختلفوا؛ فقيل: ١٥ من شعبان – وقد نفاه الشيخ محمد طيب مدير جامعة ديوبند سابقًا – وقيل: ١٩/ من رمضان، وقيل: ٢٧/ من محرم، في كل ذلك فيه ما فيه. (المؤلف)

(١) أسد علي: بن الشيخ غلام شاه المتوفى الاثنين ٧ / ربيع الثاني ١٢٩١هـ الموافق ٢١ / مارس ١٨٧٥م والد صاحب الترجمة، عُدَّ من المثقفين في عهده وإن لم يكن تخرج في جامعة؛ درج في دراسته للغة الفارسية – وهي لغة دارجة كانت تُستَخدم في الدوائر الحكومية حتى في عهد الإنجليز في الهند – إلى مرحلة كتاب « شاه نامه ». وهذه المرحلة كانت تساوي مرحة (بكالوريوس في الفنون والآداب). يقول التاريخ: إنه سافر إلى « دهلي » طلبًا للعلم غير أنه لم يواصل دراسته، وآثر الزراعة على الخدمات الحكومية، واستقر في « نانوته » وتكسب بالزراعة. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٤١)

وعاداتهم في جانب، وفي جانب آخر اتصف بالمروءة، ودماثة الخلق ؛ يعول الأسر الفقيرة، ويقري الضيف، ويقيم الصلوات، ويتقي الله حق تقاته.

أما والده «غلام شاه» — وقد سعدت بزيارته — فرجل بسيط الثقافة، عابد أوّاه ؛ يخدم المشايخ والعلماء، واشتهر بتأويله الرؤيا.

رؤيا رآها في صباه:

وقد رأى حضرة الشيخ النانوتوي فيما يرى النائم وهو صبي: أن الله عزّ وجلّ قد احتضنه. فأخبر بذلك جده. فأوّله له بأن الله تعالى سيرزقك علمًا واسعًا، ويجعلك عالمًا كبيرًا، بعيد الصوت. ورأت أختي في المنام: أن ميزانًا صغيرًا — وهو الذي يلعب به الصبيان — قد نزل من السماء معلقة به طيور أبابيل سود، لا تفارقه رغم محاولات مكثفة. قال: فأول بجدب يضرب البلاد، فصدق تأويله، وقحط العام قحوطًا بلغ من وطأته أن بيعت الإماء. ولعله أطلق عليه «القحط الخماسي» (بانجا كال) — أي القحط الذي امتدّ على خمس سنوات —.

نسبه:

وأشاركه نسبًا في جد والد الشيخ «غلام شاه». فهو: محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين بن محمد فتح بن محمد المفتي بن عبد السميع بن الشيخ «محمد هاشم».

وأنا: محمد يعقوب بن مملوك العلي بن أحمد علي بن غلام

شرف بن عبد الله بن محمد فتح بن محمد المفتي بن عبد السميع بن الشيخ «محمد هاشم».

فالشيخ خواجه بخش أخو الشيخ «محمد بخش»، وجدّ لأم لكل من والدي، والشيخ «كرامت حسين الديوبندي»(١) سافر إلى «دكن»(٢) وهو شاب، فتزوج بها، وولد له أولاد ذكور منهم «محمد هاشم». ومن هنا كان جد والدي عمًّا له، يربطهما قرابات عدة، تربط العائلة الواحدة بعضها ببعض.

وكان الشيخ «وجيه الدين»(٣) - جد لأم للنانوتوي- يجيد

---

(١) الشيخ كرامت حسين الديوبندي: من أعيان قصبة «ديوبند» في عصره، وكان أحد أسلافه وهو الشيخ لطف الله ممن وزر للسلطان «أورنك زيب عالم كير»، ولا يزال قصره الملكي بحارة «ديوان» بديوبند، خير شاهد على ما كان يتمتع به صاحبه من عز وسمو منزلة في البلاط الملكي. وكانت أمه تنتمي إلى عائلة النانوتوي، ثم زوّج الشيخ كرامت حسين بنتَه — فيما بعد — النانوتويَ رحمه الله. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٤٦)

(٢) «دكن»: بلاد جبلية في جنوب الهند، دخلها المسلمون عام ١٢٩٤م وعلى رأسهم علاء الدين نسيب فيروز الخلجي الدهلوي، كسبت شهرةً كبرى لعدد السلالات الإسلامية فيها، ولخدماتها للحضارة والعلوم الإسلامية؛ أهم مدنها: حيدر آباد، وبنغالور، ونغبور، وبونا؛ حيث تتجمع صناعات النسيج والألمونيم، والمعادن، والحفر على خشب التك، ومركز زراعي هام.
(راجع: المنجدفي اللغة والأعلام ص: ٢٨٦-٢٨٧ ط: ٢٦ دار المشرق بيروت)

(٣) الشيخ وجيه الدين (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م): جد أمّ النانوتوي، عمل مُحاميًا في «سهارن فور»، يجيد اللغتين: الأردية والفارسية، له قصائد رائعة رائقة تنم عن مقدرته اللغوية، وطول باعه فيها، فأراد ابنَ بنته أن يحذو حذوه في إجادة اللغتين. ولم أعثر من ترجمته، على أكثر من هذا.
(راجع: الإمام النانوتوي للأدروي، ص:٤٨)

الفارسية، ويقرض بالأردية، يلم إلمامًا بسيطًا – باللغة العربية، ورجلاً حنكته التجارب، وحلب الدهر أشطره، من رجال الطراز الأول، له دخل واسع، عمل محاميًا في «سهارن فور»[١] خلال السلطة الإنجليزية. ولقي إكرامًا كبيرًا، واحترامًا بالغًا من الناس، وعاش حياته متقلبًا في أحضان النعيم ؛ ذكي مفرط الذكاء، جيد الفهم، ويشاركنا نسبًا فوق أجيال – في الشيخ «محمد هاشم» – وينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[٢] والشيخ «محمد هاشم» هذا، قرَّبته العائلة الملكية إليها في عهد «شاه جهان»[٣]، فاستوطن بلدة «نانوته» وأقطعت له فيها عدة قرى انتزعتها من أيدي أولاده: الحكوماتُ المتعاقبة. و«حضرة الشيخ النانوتوي» لم يكن له أخ، وله أخت في ديوبند[٤] لا زالت على قيد الحياة،

(١) سهارن فور (SAHARANPUR): مدينة في غربي شمال الهند، على ١٦٢ك م من «دهلي» العاصمة، أنجبت فحول العلم، بها جامعات إسلامية، اشتهرت بعلمها، وصناعتها الخشبية.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر (٣٧-١٠٧هـ = ٦٥٧-٧٢٥م): أبو محمد، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد بها، رجل صالح، تقي، نقي، ثقة، من سادات التابعين، عمي في آخر أيامه. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه.

(راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥/٥٣، ط: محققة مؤسسة الرسالة بيروت، والأعلام للزركلي ٥/١٨٠، ط: دار العلم للملايين بيروت)

(٣) شاه جهان (١٥٩٣-١٦٦٦م): لقبه «خرم»، خامس أباطرة المغل في الهند، وابن الملك «جهان گير» حكم خلال الفترة ما بين ١٦٢٧-١٦٥٨م، خلعه ولده «اورنگ زيب» وتوفي بعد أسر دام عشر سنين، عرفت في عهده أمبرا طورية المغل عصرها الذهبي، وبلغت ذروة مجدها، شيد أبنيةً فخمةً أمثال «تاج محل» وحديقتين رائعتين في «لاهور» و «كشمير». (راجع المنجد، ص:٣٨٢-٣٨٣)

(٤) ديوبند(DEOBAND) : بلدة عامرة في غربي شمال الهند من أعمال «سهارن فور» بها أعرق وأكبر جامعة إسلامية أهلية: دار العلوم، بها اشتهرت في الآفاق، أنجبت أساطين العلم والفن، على نحو ١٥٠ ك م من دهلي العاصمة.

كما لم يكن لوالده أو جده أخ. وقد ولد لـ« حضرة الشيخ » أخ مات صبيًا، وعمه مات شابًا، ولجده أخ استشهد شابًا في بعض الحروب، وإخوته من فوقه لم يُخلفوا ذكورًا، وإن كان لهم ذرية في دكن فكان « حضرة الشيخ » وحيدًا فريدًا طوال أربعة أجيال.

خصاله وصفاته:

و« حضرة الشيخ » منذ نعومة أظفاره: ذكي مفرط الذكاء، عالي الهمة، ماضي العزيمة وصارمها، جلد صبور، مقدام، نشيط، داهٍ، يفوق زملاءه في الكتّاب، أوّلهم جمعًا للقرآن، وأجودهم خطًّا، مائل إلى الإنشاد ميلاً عظيمًا، قرض بعض ألعابه، وقصصه، ونسخ عدة كتيبات.

اجتماعه بالحاج الشيخ « إمداد اللّه »: [١]

وبحكم العلاقة التي تربطه بالشيخ « إمداد الله » نسبًا — فقد كان له خؤولة في أسرتنا، وأخته متزوجة فيها — كان يختلف كثيرًا إلى « نانوته » فيدخل عليه، فيبدي له حبه البالغ وإخلاصه تجاهه. وتلقينا جميعًا تجليد

---

(١) الحاج إمداد الله (١٢٣٣-١٣١٧هـ = ١٨١٨-١٨٩٩م): عالم رباني، شيخ من مشايخ الطريقة كبير، أخذ عن الشيخ إلهي بخش، والشيخ نصير الدين الشافعي: العلوم والتصوف والسلوك، وأتمه على الشيخ ميان جي الجهنجهانوي، تولى قيادة الجهاد ضد الاستعمار، وقاد الحملة التي هزمت قوات الإنجليز في وقعة « شاملي » التي هدمت الكيان الإنجليزي في البلاد، فحاولوا إلقاء القبض عليه، فهجر البلاد إلى مكة المكرمة، وكابد المشقات في سبيله، ومات بها، مولده « نانوته » بـ« سهارن فور ». (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأستاذ أسير الأدروي، ص:٤٤، ط: دار المؤلفين، ديوبند، الهند)

الكتب من الشيخ « إمداد الله » وجلَّدنا ما نسخناه من الكتب بأيدينا.

وشهد وطننا كارثةً ؛ حيث تبنّى الشيخ « تفضل حسين »[١] التشيع ، وهو يشاركنا في العقارات ، فاختلف مع الشيخ « غلام شاه »[٢] جد « حضرة الشيخ » – فأصاب الشيخ « فصيح الدين »[٣] – خال « حضرة الشيخ » – تفضلَ حسين بجراحات قضت على حياته. ورغم أن القضية مرت بسلام ، ولم يصدر الحاكم عقوبةً على أحد إلا أن الخصومة اشتدت وطأتها من ذي قبل ، وخيف على « حضرة الشيخ » الشرّ من أعدائه ، فوُجِّه إلى « ديوبند » ، حيث كان الشيخ مهتاب علي[٤] اتخذ من بيته كتّابًا ، يقرأ فيه نهال أحمد[٥]

---

(١) الشيخ تفضل حسين: لم أعثر – من ترجمته – على أكثر من أنه كان من السلالة الصديقية في « نانوته »، ويشاركهم في العقارات التي نالها أباؤهم وأجدادهم من قبل الملوك المغول. (راجع: ترجمة النانوتوي للأستاذ الفاضل والبحاثة الكبير والكاتب المترسّل القدير الشيخ مناظر أحسن الكيلاني ١٧٢/١، ط: مكتبة دار العلوم، ديوبند)

(٢) الشيخ غلام شاه: لم أعثر على من ترجم له.

(٣) الشيخ فصيح الدين: الظاهر أنه ابن الشيخ وجيه الدين المحامي في « سهارن فور ».

(٤) الشيخ مهتاب علي (م ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م): أخو الشيخ ذو الفقار علي، والأخ الأكبر لوالد شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، في طليعة الدعاة إلى إنشاء جامعة « ديوبند »، خدمها بآرائه القيمة السديدة، سابع سبعة من القائمين على الجامعة آنذاك. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٤٧)

(٥) نهال أحمد نجل الشيخ كرامت حسين، أحد أعيان « ديوبند »، رجل خيِّر، أنفق في وجوه الخير إنفاق من لا يخشى الفقر، اشتهر بجوده وطول يده، أحد المشرفين والقائمين على جامعة « ديوبند ». صدر الأمر الحكومي بإلقاء القبض على « النانوتوي » فآواه إليه عن أيدي الشرطة غير مبال بما عسى يجرّ عليه ذلك من ويلات، فمكث لديه أيامًا غير قلائل. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٤٧)

علي الشيخ « كرامت حسين » فبدأ « حضرة الشيخ » دراسته عليه في نفس الكتّاب، ثم تحول إلى جده لأم في « سهارن فور »، ومكث بها يقرأ على الشيخ « محمد نواز السهارن فوري »[١] الكتب الفارسية والعربية للمرحلة الابتدائية.

وفي تلك الأيام[٢] قصد والدي – رحمه الله – مكة المكرمة حاجًا، فقضيتُ مدة سنة في الوطن، وقد كنتُ حَفِظْتُ القرآن آنذاك، غير ضابط، فلبثت أضبطه، وأتثبت منه. ورجع « حضرة الشيخ » إلى الوطن، وقد مات

---

(١) الشيخ محمد نواز السهارن فوري: لم أعثر من ترجمته – على أكثر من أنه قام بتعليم الإمام النانوتوي الفارسية والعربية. (راجع: الكيلاني، ١/٢٠٤)

(٢) وفي عام ١٢٥٧هـ [الصحيح : عام ١٢٥٨هـ الموافق : ديسمبر ١٨٤٢م، راجع: قاسم العلوم حضرة مولانا محمد قاسم النانوتوي، للشيخ نور الحسن الكاندهلوي، ص:١٧٧، ط: مكتبة نور، كاندهله، مظفرنغر، الهند] فوجئ الناس بقصد الشيخ محمد إسحاق، والشيخ محمد يعقوب الدهلوي – وهما من أسباط وخلفاء الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي – الهجرة إلى الحرمين، وفعلاً غادرا الهند في شهر ذي القعدة فيما أظن، فأظلمت « دهلي » بفراقهما، ورافقهما جمع كبير من الناس في الهجرة، وبدا لوالدي الحج إلى بيت الله، فأخذ يعدّ عدته، ويسعى للحصول على إجازة من عمله، و لم يطلع على شيء من ذلك أحدًا، حتى تمّ له النجاح في الحصول على إجازة مدتها سنة، إضافةً إلى راتب نصف شهر، وخرج الوالد من الموطن في رجب عام ١٢٥٨هـ [الصحيح : عام ١٢٥٩هـ الموافق : أغسطس ١٨٤٣، قاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ١٧٧] ليصل مكة المكرمة في أول ذي الحجة، فزار الحرمين الشريفين، وقضى بهما سنةً ثم عاد إلى « دهلي »، وقد قضى الناس عجبهم من قطع هذه المسافة النائية بهذه السرعة، فبلغ « دهلي » وقد انتهت أيام إجازته، فلم يتمكن من زيارة وطنه حتى أظلت الإجازة السنوية في ذي الحجة فقدمه، واستصحب « حضرة الشيخ » في سفرته هذه إلى « دهلي ». (المؤلف)

جده لأمه حينئذ ضحيةً للحمى المعدية التي أكلت نفوسًا كثيرةً، فرافقت «حضرة الشيخ» في تلك الأيام، فوجدته مرسًا فائقًا في الألعاب كذلك، سواء ما يتطلب منها الدهاء أو الجهد، يفوق أصحابه، ويغلبهم. ولن أنسى تلك اللعبة التي عرفت بـ «لعبة الدهاء» لايجيدها إلا المرس الدرِب، أما نحن الحديثو العهد بها فلم يكن حظّنا منها إلا الخيبة وتقليب الأكف. وأخذ «حضرة الشيخ» يتصرف في أصولها، ويضبط ضوابطها حتى أتقنها فلم يهزمه أحد فيما أذكره، وأقصى ما يكون التعادل بينه وبين خصمه. فلم يدع لعبًا من الألعاب إلا بلغ به ذروة الكمال. وباب بيته يفتح في سكة موحشة عرفت بتغلب الشياطين عليها، و«حضرة الشيخ» لا يرجع إلى بيته إلا مؤخرًا في الليل غير خائف ولا وجل.

قدومه «دهلي» وبدؤه دراسة كتاب الكافية في النحو:

عاد والدي من الحج، فأبدى له رغبته في استصحابه إلى «دهلي»، فرضيت أم «حضرة الشيخ» بذلك، فما كان من الوالد إلا أن خرج به من الوطن في آخر أيام من ذي الحجة عام ١٢٥٩هـ.[١]

ووصل «حضرة الشيخ»، «دهلي» في الثاني من محرم عام ١٢٦٠هـ، وفي الرابع منه بدأ دراسته بـ «كتاب الكافية»، في النحو، وبدأت أنا دراستي بـ «الميزان» في الصرف – وبـ «گلستان» في الفارسية. وكان الوالد أمر

---

(١) الصحيح أنه ذهب به إلى دهلي في آخر أيام من ذي الحجة عام ١٢٦٠هـ و وصلها في الثاني من محرم عام ١٢٦١هـ (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٧٧).

« حضرة الشيخ » أن يستمع لما كنت أدرسه من الأبواب الصرفية في الميزان، وتعليلاتها. وقد تعودنا المناقشة في الأبواب الصرفية، والأعاريب في كل ليلة من ليالي الجمعة، حيث تكون عطلة أسبوعية.

تفوقه على الطلاب:

وظل « حضرة الشيخ » ، طالبًا فائقًا في زملائه، وكانوا يجتمعون — في تلك الأيام — في مسجد الشيخ « نوازش علي »[1] بجوار بيتنا، فيتباحثون، ويتذاكرون، ويتناقشون. ولما جاء الدور على « حضرة الشيخ » ، بزّهم، وعزّهم في الخطاب وظل يغلبهم في كل ما يجري من مباحثات ومحادثات علمية. ومن الطريف أن أحدنا إذا رآى نفسه ينهزم استنصره أو تقدم هو إليه يشدّ أزره. ثم مضى في دراسته لا يلوي على شيء، ولا يشق غبارَه أحد. درس أصعب الكتب في العلوم ا لعقلية أمثال: « مير زاهد » و « قاضي مبارك » و « شمس بازغة » وضبطها ضبط جامع القرآن منازله. وأحيانًا يقرأ عباراتها، ويمر عليها مر الكرام دون حاجة إلى ترجمته. وقد عاب ذلك عليه بعضُ تلاميذ والدي، وقالوا له: يا شيخنا ! يبدو أنه لا يدرك ما يقرأ. فيجيب الوالد قائلا: لا يسع الطالبَ أن يستمر في قراءته وأنا أستمع له دون

---

(١) الشيخ نوازش علي عالم جليل من علماء دهلي، ومدرس بارع، أخذ العلم عن علمائها، كما أخذ الحديث عن الشيخ محمد إسحق الدهلوي، عاش حياته كلها يدرس ويعلّم ويقوم بالدعوة والإرشاد، من تلاميذه السر سيد أحمد، وألطاف حسين حالي. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٧٨).

أن يفهمه ويدركه إدراكًا. أجل ! إن المضيّ في القراءة، والوالد يستمع، من الصعوبة بمكان ؛ إذ كان يفطن لمدى فهم الطالب الكتابَ بمجرد استماعه لقراءته. ومثله الشيخ «رشيد أحمد الكنكوهي»[١]، فقد كان هو و«حضرة الشيخ» زميلَين في الدراسة، يتبادلان الحب حتى حدثا عن الشيخ «عبد الغني»[٢] كما بايعا جميعًا الشيخ «إمداد الله» حينئذ وسلكا مسلكه في الإرشاد.

(١) الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (١٢٤٤-١٣٢٣هـ = ١٨٢٨- ١٩٠٥م): إمام، وعالم رباني، من كبار رجال العلم والسلوك والإرشاد، وُلِد بـ «كنكوه» من أعمال «سهارن فور»، اشتهر بـ «قطب الإرشاد»، أخذ العلم عن كبار عهده، وخرج عام ١٨٥٧م مجاهدًا ضد الاستعمار البريطاني، فاعتُقِل و زجّ به في غياهب السجن، ولبث فيه بضعة أشهر، أشرف على جامعة دار العلوم عام ١٢٩٧هـ، وعلى جامعة مظاهر علوم عام ١٣١٤هـ، تكسّب بالطب، ومن آثاره: رسالة في التراويح، و«الكوكب الدري»، و«لامع الدراري». (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأدروي، ص:٩٩. قاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ١٨٠).

(٢) الشيخ عبد الغني (١٢٢٤-١٢٩٥ هـ = ١٨١٩-١٨٧٨م): عالم كبير، ومحدث شهير، من بيت عريق في المجد والعلم والتقى، تعلم دروسه الأولى في «رام فور»، وأكملها في «دهلي»، سمع عن والده الشيخ أبي سعيد ذلك المحدث النابه، وعن الشاه محمد إسحاق الدهلوي، والشيخ محمد عابد الأنصاري السندي ثم المدني، واستوطن «دهلي» وعكف على التدريس والإفادة، فاستقى من منهله الفياض خلق لا يُحصَى، له حاشية على سن ابن ماجه سماها: «إنجاح الحاجة»، هاجر إلى المدينة في أخريات أيام حياته، فتوفي بها، ودفن في «جنة البقيع». (راجع: نزهة الخواطر، ٢٨٩/٧، والإمام النانوتوي حياته ومآثره، ص: ٦٢-٦٣؛ والأعلام للزركلي: ٣٣/٤، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٨١)

وألحقَ والدي «حضرةَ الشيخ» بالمدرسة العربية الرسمية[١]، وقال لمدرس العلم الرياضي: لا يهمُّك من شأن الطالب فإليّ تعليمُه وإعدادُه. وقال لـ «حضرة الشيخ»: عليك بـ «الأقليدس وقواعد الحساب» تمرن عليها أيامًا حتى تضبطها. فلم تمض أيام حتى ذاع أن «حضرة الشيخ» قد أنهى مقالات يسيرة، وانتهى من «الحساب». وذلك مّما بعث الناس على العجب البالغ فسَاءَلَه الطلاب، ولم يكن «حضرة الشيخ» خالي الوطاب، صفر اليدين، فرد عليهم ردًا بليغًا نمَّ عن مقدرته في الفن.

حله لبعض عويصات «الحساب»:

وقدم إليه الشيخ الكاتب «ذكاء الله»[٢] بأسئلة بلغت من الصعوبة بمكان، أصدرها بعض الأساتذة الجدد، فرد عليها «حضرة الشيخ» ردًا

(١) المدرسة العربية الرسمية: كانت تديرها شركة الهند الشرقية البريطانية، وهي «مدرسة غازي خان» سابقًا، وغازي خان هو الذي كان يكفل حاجات المدرسة بحذافيرها، وعندما تولت شركة الهند الشرقية حكم البلاد الهندية عام ١٨٢٥م استولت على المدرسة، وسمتها: المدرسة الدهلوية ثم تدخلت في نظامها ومناهجها الدراسية حتى تحولت إلى كلية إنجليزية تدرس – بجانب العلوم العربية – العلومَ العصريةَ، وحاولت الكلية أن تخلق جيلاً هندي اللون، أوربي الفكر، يعمل لمصالح الاستعمار البريطاني. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٥١-٥٢)

(٢) الكاتب ذكاء الله الدهلوي (١٢٤٨-١٣٢٨هـ = ١٨٣٣-١٩١٠م) مؤرخ، عالم بالرياضيات، مترجم، صاحب المؤلفات الكثيرة، وُلِدَ بدهلي وتعلّم في كليتها، من تلاميذ الشيخ مملوك العلي النانوتوي، عُيِّنَ مدرِّسًا في كلية دهلي، ظلَّ مشتغلاً بالكتابة والتأليف، وهو أحد المؤلفين البارزين أولي المؤلفات الكثيرة باللغة الأردية، قد بلغ عدد مؤلفاته نحو ١٧٥ كتابًا، من أهمها تاريخ الهند في ١٤ مجلدًا، وتاريخ رقي الحكم الإنجليزي. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٨٣)

كافيًا زاد من صيته. وهذا شأنه في الحساب.

وأظلت أيام الامتحان في المدرسة فغاب عنها، ولم يحضر الامتحان، وانفصل عن المدرسة نهائيًا. فأسف على ذلك المسؤولون عن المدرسة بمن فيهم رئيس هيئة التدريس، فقد كان يتولى منصب مدرس المرتبة الأولى، أحد الإنجليز آنذاك.

عمله كمحقق النصوص:

ثم عمل حضرة الشيخ أجيرًا في المطبعة الأحمدية يحقق النصوص، ويعدّها للطباعة بعد ما أنهى الكتب الدراسية النظامية، وأكمل دراسة الحديث علي الشاه «عبد الغني». وخلال هذه المدة ألمّ بوالدي مرض «اليرقان»، فقضى نحبه فيه في الحادي عشر من شهر ذي الحجة عام ١٢٦٧هـ، ولم يطل مرضه، إنما هو أحد عشر يومًا، غير أن أربعة أو خمسة أيام منها اشتد خلالها وطأة المرض، وتناهت شدته، وسادته الغشية والإغماء، واحتاج إلى تحريك المروحة، وإشمام «لخلله».[١] ونحن كان يغلبنا النوم فنستريح، و«حضرة الشيخ» لا يزال يسهر عليه يمرِّضه. وبعد ما توفي الوالد تحولت إلى الدار التي نملكها، والتي تقع في حارة «جيلان» و «حضرة الشيخ» بدوره صحبني إليها، وعلى السقف سرير مفكك يرمي بنفسه فيه. ويأمر أحيانًا فتُخْبَزُ له أخباز تكفيه عدة وجبات. وعندي خادم يخبز ا لخبز، وقد أوصيتُه أن يقدّم له

(١) لخلخه: دواءٌ يُقَوِّي الدماغ.

إدامًا إذا ما وجده يرغب في الطعام، فلا يقبل منه إلا أحيانًا، وبإلحاح بالغ، وكثيرًا ما كان يكتفي بجلف الخبز قانعًا به.

وقضيت في دهلي – بعد ما توفي الوالد – ما يقارب سنة، ثم تمّ تعييني في «أجمير»[(١)] مما اضطرني إلى مغادرة «دهلي»، ومفارقة «حضرة الشيخ» وهو بدوره أمضى أيامًا في تلك الدار وحيدًا لا يشاركه فيها أحد، ثم تحول إلى المطبعة، ولبث أيامًا في «دار البقاء».[(٢)]

تعليقه على صحيح البخاري: [(٣)]

وفي هذه الأيام فوض إليه الشيخ «أحمد علي السهارن فوري»[(٤)]

---

(١) أجمير(AJMER) : مدينة معروفة بولاية «راجستهان»، غربي الهند، بها ضريح لخواجه معين الدين جشتي أجميري (١١٤١-١٢٣٧م) من أشهر الشخصيات الصوفية الإسلامية اشتهرت المدينة، على نحو (٤٤٠) م من دهلي العاصمة.

(٢) دار البقاء: مدرسة قديمة، جنوبَ المسجد الجامع بدهلي، بناها الملك «شاه جهان» لقيت إهمالاً ولا مبالاة في آخر العهد المغولي؛ فعادت خرابًا، ثم أعاد بناءها المفتي «صدر الدين آزرده» وعَيَّنَ فيها مدرسين، وتكفل بنفقات الطلاب، حتى حدثت ثورة عام ١٨٥٧م؛ فهدمها الإنجليز وسوّوها بالأرض. (قاسم العلوم للكاندلوي، ص:١٨٦)

(٣) البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ): الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: بحر زاخر، وطود أشم، إمام شهير غني عن التعريف.

(٤) الشيخ أحمد علي (المتوفى ١٢٩٧هـ = ١٨٨٠م): محدث كبير، امتاز بعلمه ومعرفته، أول من قام بخدمة مصادر الحديث تعليقًا، وتحشيةً، وتصحيحًا، وطباعةً ونشرًا. أخذ عن كبار عصره أمثال الشيخ مملوك العلي، والشيخ سعادت علي، وسمع عن الشاه محمد إسحاق الدهلوي، وهاجر معه إلى مكة المكرمة، ثم عاد إلى الهند وعاءً للعلم، قضى حياته في تدريس الكتب الستة الحديثية، وتصحيح نصوصها، ثم أنشأ مطبعةً له، وأخرج هذه المصادر العلمية مصححةً محشاةً. له: تحشية على خمسة وعشرين جزءًا من صحيح البخاري، وأكملها تلميذه النابغ الإمام النانوتوي، توفي في «سهارن فور». (راجع: تذكرة مشاهير الهند، ص: ٢٢-٢٣)

تعليق وتحقيق الأجزاء المتبقية – الخمسة أو الستة[١] – لصحيح البخاري، فقام به «حضرة الشيخ» خير قيام، يسر القراء، ويبعث على الإعجاب به، والتقدير له، وأنّى لأحد أن يعمل عمله. وخفي على أناس مقدرته العلمية، فأفضوا مخاوفهم إلى الشيخ «أحمد علي» قائلين له: «ما بالك جعلت هذا العمل الجليل إلى رجل شاب قليل المراس؟» فرد عليهم الشيخ «أحمد علي» قائلاً: «لست بهذه المثابة من السفاهة فآتي أمرًا دون بصيرة منه». وأراهم تعليقات أعدها «حضرة الشيخ» فإن تلك المواضيع من صحيح البخاري تعد أصعبها وأدقها، وخاصةً تائيد مذهب الأحناف. الأمر الذي تقيد به الشيخ «أحمد علي» حين بدأ تعليقاته هذه على الصحيح، وقد تعقّب الإمام البخاري مذهب الأحناف بتعقبات يشق الرد عليها كما لا يخفى.. فمن شاء فليراجع هذه التعليقات التي قام بها «حضرة الشيخ».

والتزم الشيخ «أحمد علي» –كذلك – في تعليقاته ألاَّ يأتي فيها بشيء إلا عن دليل يساعد دون إيحاء عن عقله وفهمه.

وهذا الذي يرجع إلى تلك الأيام من حياة «حضرة الشيخ» سمعته ولم أشهد؛ إذ لم يسنح لي الاجتماع به طوال خمس سنوات. وعندما توجهت إلى «أجمير» تركت «حضرة الشيخ» يسكن تلك الدار، يشاركه

---

(١) الأجزاء التي علَّق عليها الإمام النانوتوي ثلاثة وهي من الجزء الثامن والعشرين إلى نهاية الكتاب؛ لأن أسلوب كتابتها ومنهج تحقيقها يختلف عن الأجزاء الأخرى، كما أكد الشيخ محمد يونس شيخ الحديث بجامعة مظاهر علوم سهارن فور، الهند. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٨٨)

فيها آحاد من الناس ، ثم تفرقوا جميعًا عنه. وكان يكون الباب مسدودًا يرجع « حضرة الشيخ » إلى الدار ليلاً فينزع الباب ليدخلها ثم يعيده إلى مكانه ، فيبيت الليل ، فإذا أصبح نزع الباب ليخرج ثم يعيده إلى مكانه ، وقضى أشهرا في نفس الدار.

زهده في الاهتمام بذاته :

وجبل حضرة الشيخ على حب العزوف والعزلة عن الناس ، فعز على الناس مخاطبته ، والحديث معه ، وشب على ملازمة الصمت والسكوت. فيهابه من رآه ، ولا يفاتحه ، فهو – رغم خفة روحه وسماحته – يبدو عابسًا كئيبًا ، لا يسع أحدًا أن يطلع على ما هو فيه من عسر أو يسر ، وهو بدوره لا يبوح به لأحد ، وربما أصيب بمرض ، ولا يدري ذلك أحد إلا أن تشتد وطأته فيلمسه من يلمس ، ويخفى على كثيرين ، أما هو فلا يطلع عليه أحدًا بلْه التداعي والعلاج.

ومن الطرائف ما حُدِّثْتُ أن « حضرة الشيخ » كان يعمل في مطبعة الشيخ / أحمد علي ، فيناديه البعض بـ « حضرة المولوي » فلا يجاوبه ، فإذا نودي باسمه تهلل وأقبل عليه كليًا ، فقد كان يزعجه كثيرًا ، أن يقابله ا لناس بمزيد من التعظيم والاحترام ؛ يتبسط إلى الجميع ، ويعاشر أصحابه وذويه معاشرة الإخوان ، ولا يخص نفسه بتوقير زائد يقوم به الناس تجاهه ، ولا يتقيد بزي العلماء الكبار من القميص والعمامة ، وقال ذات يوم : « **لقد أفسد علي هذا العلمُ، ولقد وددت أن أفني نفسي فلم يعرفها أحد** ».

أقول : رغم هذا الصيت الذائع ما عرفه من عرفه ، فكم من فضل

ناله، وخفي عن أعين ا لناس إلا ما ندر، فصدق ما قاله، وكان يتحاشى عن الإفتاء بَلْهَ التوقيع والختم عليه، وإنما يحيل السائل إلى غيره من العلماء، ولا يرضى بالتقدم للصلاة بالناس، ثم أخذ يؤم الناس في وطنه؛ ويأبى أن يقوم فيهم خطيبًا. و أول من حمله على إلقاء الكلمة الشيخ / مظفر حسين الكاندهلوي[١] وشهد خطبته، واستمع إليها، واستبشر كثيرًا.

والشيخ / مظفر حسين ذا ممن يمثل السلف الصالح في أيامنا الأخيرة هذه. وقد بلغ من تقوى الله تعالى وورعه مكانًا لا يدخل معدته طعام يريبه إلا قاءه، وما رأيت ألزم للسنة منه ولا سمعت!! وهو أول من قام بتزويج النساء الأيامى في هذه المناطق، كما قام به حضرة والدي خير قيام، وتبعهما «حضرة الشيخ» فوسع من نطاقه، وسيُكتَب هذا العمل الجليل في حسناتهم إلى يوم القيامة. وهذا جانب من جوانب أعماله البناءة الدينية التي قام بها، ونشرها خدمةً للمجتمع الإسلامي.

وكنت أسعد بلقاء الشيخ «مظفر حسين» عندما يقدم «دهلي» وينزل على والدي، ويقيم في بيتي، والوالد يبادله الحب فلا يتوجه إلى الوطن إلا

---

(١) الشيخ مظفر حسين الكاندهلوي (١٢٢٠-١٢٨٣هـ = ١٨٠٥-١٨٦٦م): عالم رباني، من كبار عصره، وُلِد في «كاندهله» وبها نشأ وترعرع، وشبّ، تلقى العلم عن أمثال: المفتي إلهي بخش – قاضي بهوپال– والشاه محمد يعقوب الدهلوي، مُلِئ إيمانًا، وإحياءً للسنة النبوية إلى مشاشه، صبت عليه مصائب تقشعر لذكرها الجلود من قبل المبتدعة؛ إذ ركز جهوده على الرد على البدع والخرافات التي تسربت إلى المسلمين. وهذه النوائب لم تزلزل من أقدامه، و لم ينهنهه لقاؤها، سافر إلى الحجاز سفرته الثانية حاجًا فقضى مناسكه، ولبث أيامًا بالمدينة إذ وافته المدينة بها. (راجع: نزهة الخواطر، ٤٨٣/٧، والإمام النانوتوي حياته ومآثره، ص: ٢٨٩، والكيلاني: ٣٩٧/١)

عرج على « كاندهله »[١]، وما قفل منه إلى « دهلي » إلا نزل عليه، وأقام عنده، ثم يمضي في سبيله إلى « دهلي ». وكذا يقف موقفًا مماثلاً من الشيخ « إمداد الله » يجتمع به خلال زياراته لـ « تهانه بهون »[٢]، وقد يقيم هناك. فما أعجب ذلك الاجتماع الذي كان ينعقد في مسجد « بير محمد »، وما أكثر خيره وبركته!! ولم يكن يهمهم إلا ذكر الله، وقال الله، وقال الرسول. وينتهي بهم المجلس – في الهجيع الأخير- بالجهر بذكر الله مما يوقظ الوسنان والغافل، ويوفقه لذكر الله. فهذه اللقاءات والزيارات يرجع فضلها – فيما يبدو– إلى هؤلاء الأعلام، وإلا فما قدر الله كان.

تبتّله:

ولم يكن « حضرة الشيخ » يرضى بالزواج، بينما أقلق والده « أسد علي » ما رآه فيه من إبائه عن تولي الوظائف، وصبابته بطريقة الإحسان والتزكية، كما كان أهمه – كثيرًا – ما خطب له إلى بعض البنات في « ديوبند » فلجأ إلى الشيخ « إمداد الله » وجعل يشكو إليه ذلك الأمر، حتى رضي « حضرة الشيخ » بالزواج بأمر منه، على أن يكون هو غير مطالب

---

(١) كاندهله (Kandhla): من أعمال « مظفر نغر » غربي شمال الهند، أنجبت فحول العلم أمثال: الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي صاحب كتاب « أوجز المسالك شرح الموطا للإمام مالك رحمه الله ».

(٢) تهانه بهون (Thana Bhawan): من أعمال « مظفر نغر »، في غربي شمال الهند على نحو ١٨٠ ك م، من دهلي العاصمة، أحد مراكز العلم والإصلاح والإرشاد الديني، أنجبت أمثال: حكيم ا لأمة أشرف علي، وقبله الشيخ محمد أعلى، والشيخ إمدد الله المهاجر المكي، والشيخ ضامن الشهيد، ولها ميزات أخرى. (راجع: الكيلاني: ٤٩/١)

بكسب العيش للإنفاق على الزوجة أو الأولاد ما دام حيًّا. وقَبِل أهلها ذلك مغلوبين على أمرهم فعقد الزواج.

هذا في جانب وفي جانب آخر نجده لا يتولى – إذا ما رضي بذلك – إلا وظائف قليلة الدخل، فيعمل كمصحح في بعض المطابع، يتقاضى راتبًا لا يتجاوز أربع روبيات أو ستًا. وزاد الطين بلةً ما جبل عليه من المبالغة في القِرى والضيافة والسخاء؛ فلم تسمح نفسه بادِّخار شيء يقدمه إلى أهله. ويزور والدَه في الوطن فيتبعه أصحابه، وضيوفه إليه، وما أكثر ذلك حتى شقّ على والده ذلك بحكم دخله الضئيل، فما كان من «حضرة الشيخ» إلا أن استأذن زوجته ببيع حليها، وباعها، وأنفق ثمنها. وقد جُبِلت هذه السيدة على الصمود، والصبر على شظف العيش؛ فعانت ما عانت لدى زوجها سعيًا وراء إرضائه، وإبقاء على إبائه وعزة نفسه؛ فكان «حضرة الشيخ» يُكنّ في صدره لها حبًّا صادقًا ومودةً، ويكثر من الثناء عليها، والشكر لها في أخريات أيام حياته.

جوده وسخاؤه:

ثم أنعم الله عليه ما أنعم، ورزقه من فضله رزقًا واسعًا، فكان يقدم ما يكسبه من أموال إلى هذه الزوجة الأبية الصالحة – حفظها الله – التي تعودت الجود والسخاء، وزادت «قرى» حضرة الشيخ رونقًا وبهاءً. فلا أعرف ضيفًا نزل عليه في أية ساعة من ليل أو نهار إلا نال حظه مما لذ وطاب. ولم يستنكف «حضرة الشيخ» أن يعترف – وبكل صراحة – بأنَّ

قراه يرجع فضله إلى والدة أحمد – نجله الأكبر[١]– وقال: إنها تسبقني في الإضافة والقِرى.

وكانت «نانوته» تحتضن مزارع كثيرةً جدًا تنبت الزرع، يملكها «حضرة الشيخ» فكان يقول لضيوفه: ما تكلفنا في إعداد الرز لأجلكم شيئًا، وإنما يغل لنا الأرزَ أراضينا المترامية الأطراف هذه، فأعددناه وقدمناه لكم. وكان يغلو في نفقات الضيافة.

فذات مرة قُدِّم إلى المائدة شيء وافر من السمن مع «كهجري» – وهو طبيخ معروف مزيج من الرز والعدس – والضيوف يبلغون عشرةً أو خمسة عشر فاستكثره الشيخ «رشيد أحمد» فنصّفه نصفين: نصفًا أمسكه ونصفًا أرسله إلى البيت.

وذات يوم أراد أن يعلف بعض الدواب التي قدم عليها الضيف، فطلب حمصًا فلم يجده، وفي البيت «حمص كابلي» يعتبر من أنفس أنواع الحمص، فأمر برضّه فرضّ، فقدَّمه علفًا للدَّابّة. وهكذا بلغ «حضرة الشيخ» من القرى والضيافة منتهاها.

بعض ما رآه فيما يرى النائم وهو صبي:

أذكر أن «حضرة الشيخ» رأى وهو صبي فيما يرى النائم أنه أتاه أجله؛ فمات فدفنوه في قبره، ورجعوا، فأتاه جبريل في قبره، وبيده بعض الجواهر الغالية، وقال له: هذه أعمالك، وفيها جوهرة جميلة كبيرة جدًّا،

(١) سيأتي ترجمته في فيأتي.

فقال: هذه عمل خليل الله: إبراهيم عليه السلام.

ورأى أيام دراسته وهو نائم أنه وقف فوق بيت الله الحرام، وتنبع منه الآلاف من الأنهار. فذكره لوالده، فأوّل له بأن القوم سيكثرون من الانتفاع بعلمه.

إباؤه من التوظّف:

وعقد له والده النكاح ظنًّا منه أنه – كسائر أترابه – سيتولى خدمة من الخدمات تدرّ عليه مالا يعيش به وينفقه عندما تحيط به الهموم. فانقضت مدة مديدة، ولم يصدق أمله فيه فأصابه اليأس. وأقلقه – كثيرًا – أن يراه خاملاً لا يكسب عيشًا، بينما يرى أبناء إخوته قد تلقوا الدراسات، ونالوا وظائف مرموقةً يسيل لها اللعاب، وتدرّ عليهم المئات (من الروبيات)، والخمسينات(من الروبيات)، فينعمون بعيش رغيد، ويتقلبون في النعماء، فعيل صبره، وشكا ذلك إلى الحاج «إمداد الله» قائلاً: إنه وحيد أولادي، لا يشاركه أخ أو أخت وقد عقدت فيه آمالاً بعيدةً، ورجوت أن يكسب لنا العيش، ويدفع عنا الأذى، والضيق الذي نكابده، والله يعلم ما حل به. فارتسمت ابتسامة على شفاه الشيخ، وسكت، ثم أرسل إليه – بعد – يبشره بأنه سينال منزلةً رفيعةً تسخر له ذوى المئات والخمسينات هؤلاء؛ يبعد صيته وصوته، ويشار إليه بالبنان، جئتَني تشتكي العوز والعسر، وإن الله سيرزقه – بدون وظيفة- رزقًا يفضله على أصحابه.

وقد وسع الله على «حضرة الشيخ» وأبوه «أسد علي» حيٌّ يرزق،

فقرّ عينًا، وطابَ نفسًا، ولقي ربه راضيًا به وبولده. ورأى – بأم عينيه- صدق التنبؤات التي تنبأ بها الشيخ «إمداد الله» فالرجل أدرى بأصحابه، وإنما يعرف ذا الفضل ذووه.

وسجل الشيخ «إمداد الله» في كتابه «ضياء القلوب» كلمات تثني على الرجلين[1]، وهي في غاية من الصواب والصحة. ولا شك أن الشيخ أعمل فيها تواضَعه إلا أنه قصد السمو بمنزلتهما ورفع ذكرهما.

وقال الشيخ عند ما حضرتُ حاجًا لأول مرّة: ليس بيني وبين الشيخ «رشيد أحمد» فرق كبير، و ما الذي يحمل الناس على زيارتي(؟) وقال: إن أمثال «الشيخ محمد قاسم» عرفناهم في غابر الزمان، أما الآن فقد مضت الدهور وما أتت بمثله.

ورغم ما اتصف به «حضرة الشيخ» من الفضل لم يتفوه بكلمة تنم عن مدحه لنفسه، وتزكيتها، أو كبرها وخيلائها، لا في خلواته ولا في جلواته، ولا بين من خالطه وأحبه، أو جهله وأنكره.

الشيخ «إمداد الله» يوصينا بالاحتفاظ بما يقوله «حضرة الشيخ»:

ثم قال الشيخ خلال هذه الرحلة: عليكم بما يقوله أو يكتبه «حضرة الشيخ» فاغتنموه، واعتنوا به، غير أننا – والقلب ملؤه الأسى- لم يخطر ببالنا أن أجله قد حان، وسيُدَاهِمُنا الخطب. قد كان نَقُهَ بعد معاناته لشدة

---

(١) الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي.

المرض مرات، ولا نظن – آنذاك – إلا أنه سيعود إليه الصحة، فسُقِط في أيدينا، ولم نملك إلا قلب الأكف على ما فاتنا، فأنى لنا من يسدّ مسده، ويكمل ما نقص ويتدارك ما حصل من خلل؟.

وبعد ما تزوج «حضرة الشيخ» كان ينغّص عيشَ والده ما يراه منه من رغبته عن الدنيا وما فيها، وظلت تراوده أمنية ذكر يولد لحضرة الشيخ يرثه، ويخلفه، ويعقب نسله، فقد كان رزق عدة بنات تباعًا، ولا زالت اثنتان منهن على قيد الحياة. فقال له بعض أهل الخير والصلاح: إن أمنيتك للذكر مما يتأذى بها «حضرة الشيخ» فلا تنغص عليه عيشَه، إذًا سيرضيك الله تعالى، فأَمْسِكْ عنه، وأصبح أكبر همه تحقيق رغبة «حضرة الشيخ» فيقري ضيفه، ويخدمهم دون أن يجد في نفسه من ذلك حرجًا.

فرزق الله «حضرة الشيخ» غلامًا سماه: أحمد، وقد بلغ أحمد هذا الثامن عشر من عمره شابًا يافعًا، جعله الله سرًا لأبيه، مشابهًا له (آمين) ثم وُلد له ابنه: هاشم[١] وسماه بهذا الاسم جده – والد «حضرة الشيخ» – كما ولد له – خلال ذلك بنون وبنات، كل مضى لسبيله إلا بنتًا بلغت من سنها ثلاثًا أو أربعًا من السنوات، وهي آخر أولاده، متعهم الله جميعًا بطول عمر، وسعادة، وتوفيق، وأبقى الله على نسله بهم.

---

(١) هاشم: هو محمد هاشم توفي شابًا في مكة المكرمة، وللإمام النانوتوي ابن ثالث اسمه: محمد الصغير مات صبيًا. (راجع: الكيلاني: ١/٥٠٤)

تواضعه :

أخونا أسد علي – والد «حضرة الشيخ» – رجل غرّ يكثر من تدخين الشيشة، بينما «حضرة الشيخ» ممن يكرهها ويبغضها. وذات مرة أمره والده بإعداد الشيشة، والرجل طوع أبيه فأعدّها وأحضرها. ولما بلغ الناس ذلك لاموا والدَه على ذلك فأجابهم: لقد ندمت كثيرًا إذ أمرته بذلك، ثم لم يعد إليه.

وكان يعز عليه أن يرى ابنه حِلْس المسجد، فيه يبيت ويطعم ويشرب، واتخذ لنفسه زملاء: اثنين أو ثلاثة يشاركونه في شيخه الذي بايعه، وطلب منهم أن يحضروا وجباتهم إلى المسجد، كما يحضر هو وجبته إليه، فيتشاركون في طعامهم وشرابهم.

معاناته وصبره :

وتعوّد السير على الأقدام، والصبر على المعاناة مما يعز على والده. وقد بلغ من عنائه أنه كان يغتسل – إذا احتاج إليه – في الهجيع الأخير من الليل في بركة، في ليل قارّ، شديد البرد، يصطك لها الأسنان وتتمشى الرعدة في سائر البدن، رغم ما كان يتوفر من الماء الساخن في المسجد. وذلك حياءً من الناس، لا غير.

أذكاره وأعماله :

لقد مارس حضرة الشيخ أعمالاً شاقةً، يروِّض بها نفسه، ويزكيها تقصر دونها الهمم. واستمر على الأشغال الشاقة مثل: «حبس النفس» بالإضافة إلى التسبيحات الإثني عشرية مما داوم عليها، فانتابت مزاجَه حرارةٌ شديدة أطارت شعره، ولم تَزُل بصورة أوأخرى، إذ هذه الحرارة

مصدرها القلب، ولا سبيل لدفعها، وتسكينها، فأصيب بمرض أودى به.

تــوارد المعاني والأفكار:

وتتوارد إليه المعاني والأفكار، وتواتيه ليختار منها ما يشاء، ويرجئ ما يشاء. وكان يقول: وقد تصيبني حيرة فيما أختار منها، وما أَدَع. وكثيرًا ما كان يخرج على موضوعه حين يسهب في الخطبات؛ حيث تواتيه الأفكار، ويطاوعه اللسان، والله أعلم بما وراء ذلك. وكان يتمتع بالكشف ثم لم يتفوّه بكلمة تنم عنه، والإنسان يفعل فيه مجالسةُ من يحظى بـ «نسبة صالحة» —ولو ضئيلة- فعلَها، أما «حضرة الشيخ» فرزقه الله قوةً على الضبط والإمساك؛ فلم يُبْدِ من ذلك شيئًا، فما كان أضبطه وأملك لنفسه!!

بدأ «حضرة الشيخ» ذات مرة تدريس كتاب «المثنوي» للعلامة الرومي[(١)] فلا يتجاوز أبياتًا اثنين أو أربعةً، حيث يشبعها بحثًا وشرحًا، ويأتي بعجائب وغرائب من المعاني والحكم.

وبلغ دروسه هذه بعضَ من كان يصطبغ بشيء من روح التزكية والإحسان، فاعتبره نابعًا من تضلعه من العلم وعلو كعبه فيه، و أحب أن يفيده شيئًا من العلوم الباطنة، فطلب منه أن يخلو به يومًا، فرد عليه «حضرة

---

(١) الرومي: هو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي الرومي (٦٠٤-٦٧٢هـ = ١٢٠٧-١٢٧٣م): عالم بالفقه، والخلاف فيه، وأنواع العلوم، متصوّف من كبار الزهّاد وأشهرهم، له «المثنوي» المعروف، المنظوم بالفارسية، وقد ترجم إلى غير لغة، وشرح وطبع بها، كتب مقدمتها باللغة العربية، وتخللتها أبيات عربية من نظمه. (الأعلام للزركلي: ٧/ ٣٠)

الشيخ » قائلاً : قد شغلني العمل في المطبعة ، وتعليم الطلاب عما سواهما ، فلا أستطيع تلبية دعوتك ، ومن الممكن أن تدخل عليّ إذا شئت ، فأتاه يومًا ، وقال له : انظر إليّ ، وقد أغمض هو عينيه مراقبًا ، بينما « حضرة الشيخ » يدرِّس تلاميذه ، فأوقف الدرس ، وتوجه إليه بعينين مفتوحتين حينًا ، ومغمضتين بعض الإغماض حينًا ، وأما ذلك القادم فيكاد يخرّ على وجهه حينًا ، ويستوي قاعدًا حينًا ، وهكذا دواليك ، ثم قام ورجع مقنعًا رأسه ومبالغًا في الاعتذار إليه.

ولاشك أن تواضع « حضرة الشيخ » مما أخفى على الناس فضلَه ، ومكانتَه. والذي ظهر لهم إنما كان – فيما أرى – بأمر من الله تعالى ، ولم يكن يتوخى « حضرة الشيخ » ذلك.

عود على بدء:

لقد خرجت عما كنت بصدده ، فأعود وأقول : وعدت من « بنارس »[١] إلى الوطن ، ولم يسنح لي زيارة « نانوته » ، وخلفت أهلي في « ديوبند » وشددتُ رحلي إلي « روركي »[٢] ووُلِّيت بعض الخدمات هناك ،

---

(١) بنارس (Banaras أو Varansi): مدينة في شمال شرقي الهند، على ضفة نهر «الغانج»، من مدن الهندوس المقدسة، مركز فكري لدى الهندوس، بها جامعات إسلامية عدة، على ٧٧٢ ك م من دهلي العاصمة واشتهرت – كذلك – بالصناعة الحريرية. (راجع: المنجد ص:١٤٣)

(٢) روركي (Rurki): مدينة شهيرة من أعمال «هري دوار» بالولاية الشمالية، معسكر هام، أولاها الاستعمار البريطاني عنايةً بالغة، خصص جزءًا منها للجيوش، ومنع دخولها لعامة الهنود، كان بها

وطال غيبتي عن الوطن، بينما كان «حضرة الشيخ» في بيته، فأرسلتُ إليه من يبلغ عني رغبتي في لقائه، وأنه لا يمنعني من زيارته إلا شغلي الشاغل. فاستعد لزيارتي، وقطع مسافة منزلتين راجلاً على قدميه، وعرفني بقدومه الميمون. ولم تتطلع نفسه لركوب المراكب مادام قويًا جلدًا.

مغامراته أيام الغدر[١] :

اندلعت في الهند في تلك الأيام ثورة ضد الحكم الاستعماريّ الإنجليزي في البلاد، سميت بـ «أيام الغدر» ونقض العهد، فعدتُ إلى الوطن وقدم «حضرة الشيخ» بصحبة جماعة منهم مُحَافِظُ البلدة (بلدة نانوته) بعد رمضان إلى «سهارن فور» ليستقبلني بها. والسير في تلك الأيام —غير مزود بالعدة والعتاد— أصبح من الصعوبة بمكان، فاستصحبوني إلى الوطن؛ إذ حدثت حوادث عدة قام بإذكاء نارها أهل الشغب والفتنة، فأبلى فيها «حضر ة الشيخ» بلاءً حسنًا.

إصابته للهدف بالبندقية :

وحينئذ طالما كان جماعة من إخواننا، وأترابنا يتعلمون الرماية،

مدارس ومرافق استعمارية. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره، ص: ٢٠٤)

(١) أيام الغدر: يراد بها أيام ثورة عام ١٨٥٧م إذا اندلعت في الهند ثورة عارمة، وقَامَ الهنود بحركة عنيفة كاسحة ضد الاستعمار، فقتلوهم تقتيلاً حيث وجدوهم، ودمروا مصالحهم، وخربوا كل ما وصلت إليه أيديهم، فكانت ثورةً جامعةً، وهاج الرأي العام ضد الاستعمار هيجانًا عظميًا سماها الإنجليز بـــ «أيام الغدر» وهي ثورة ضدهم.

وتسديد البندقية. فرجع « حضرة الشيخ » ذات مرة من المسجد، ووَجَدَنا نتعلم الرمي، ونستهدف ورقةً من أوراق « النيم » محاطةً بخط مدور، ونحن نصوب من مكان قريب منه، واتخذنا قذائف من طين. فقال « حضرة الشيخ » أروني كيف تسددون البندقية. فأطلق البعض إطلاقة، ووصف له على وجه. فما نشب « حضرة الشيخ » أن تناول البندقية، وسدّدها، وركز على الهدف، فأصابه. بينما طال عجز سائر زملائه الرماة المرسين عن إصابة الهدف. ولم يكن إصابة « حضرة الشيخ » لهذا الهدف المحدد صدفةً، وإنما تأتَّى ذلك عن تفطنه للتسديد، وأخذه نفسه بحالة من الوقفة تلاشت معه وجوه الخطاء. وطالما رأيت الرماة يأخذون أنفسهم بوقفة تبدو أبدانهم خطوطًا مستقيمة من الرأس إلى أخمص القدمين.

صعوده وثباته في تلك الأيام:

وخلاصة القوم أنا وجدنا كل أحد – في تلك الأيام – فُزَعَةً مزلزلاً زلزالاً شديدًا، قد استنفد صبرَهم هذه الفتنةُ العمياء، بينا ألفينا « حضرة الشيخ » غير خائف ولا وجل. انتشرت الشائعات والأكاذيب، والغث والثمين من الأخبار مما يجعل الولدان شيبًا، و « حضرة الشيخ » مكب على أعماله اليومية لم يدخلها تقديم أو تأخير.

وقوفه مُصْلِتًا سيفه ضد حملة البنادق:

واضطر الناس – غير مرة – إلى مواجهة العدو وأهل الفتنة، فكان « حضرة الشيخ » أصبر عليها، وأصعد لها، وأسبق إليها، يُصْلِتُ سيفه،

ويبارز حملة البنادق. وبينما كان الفريقان يتبادلان الرصاصات، جلس «حضرة الشيخ» آخذًا رأسه بيده، فظن من رآه أنه أصابه رصاصة، فخف إليه واستفسره فقال: أصيب رأسي برصاصة، فحلَّ عمامتَه عن رأسه، فلم يجد به أثرًا من شجة، فقضى عجبه مما رآه إذ كان «حضرة الشيخ» مضرجًا بدمائه.

إصابته بالبندقية:

و واجهه بعض الأعداء ببندقية أدت إلى إحراق شطر من شاربه ولحيته، وإصابة عينه بجروح طفيفة. وطلبوا الرصاص فلم يعلموا مصيره. قد تم هذا الهجوم عليه عن مكان أقرب كان كافيًا لجرحه، وشجّه بأنابيب البندقية، ولو لم ينفذ منها رصاص، بيد أن الله تعالى وقاه شر ذلك، ولم يصبه كبيرُ شجة تعرضه لخطر.

والله يكلؤه:

واطَّلع بعضُ أعدائه على ما أصيب به من الشجّة في هذه المعركة، فأبلغوا السلطات أنه ممن شارك في الثورة المعادية للإنجليز التي شهدتها «تهانه بهون» رغم أنه كان بمعزل عن مثل ذلك، ولو تطلعت نفسه إلى تولي المناصب وجمع الأموال، لوجد نفسه في وضع مغاير تمامًا، ولانقادت له النيابةُ لبعض المديريات أو الرياسة العامة لها. ومن هنا احتاج إلى الاختفاء عن الأنظار، حتى لا يلحقه مكروه. كما كان الشيخ الحاج – أي الحاج إمداد الله – لمثل هذا السبب أخفى نفسه عن السلطات الإنجليزية.

وفي زمن الاختفاء هذا قضى بعض الأيام في «ديوبند» وخرج الرجال من البيت الذي اختفى فيه «حضرة الشيخ» فوق بيت الحريم، وخلا بنفسه فيه، فاغتنم الفرصةَ وقرب من السلم النازل به إلى بيت الحريم، فأمر النساء بالتستر حتى يتيسر له الفرار من البيت، فما ملكن منعه من الخروج، فأسرع الخطا وخرج، فأرسلت النسوة بذلك إلى بعض أهل البيت الموجودين في السوق، فهموا للعودة، ليتداركوا الأمر قبل أن يتسع الخرق على الراقع، غير أن رجال الشرطة سبقوهم إلى الدار يتنسَّمون أخبار الفارين، فدخلوها وفتشوها، وخرجوا خائبين لم ينالوا شيئًا. ولم يكونوا – فيما يبدو – يبحثون عن «حضرة الشيخ» عينه، إلا أن الدار أصبحت توحي بالخطر يفاجئها حينًا لآخر. فلم يدخلها «حضرة الشيخ» ولزم المسجد، يقضي فيه ليله ونهاره، ولم يتعرضوا له فيما بعد، وهكذا نجاه الله تعالى من الاعتقال غير مرة.

وتقلبت عليه الأوضاع وتطرقت في تلك الآونة بشكل يطول ذكره، يقضي أيامًا هنا وهنا، يتردد بين «ديوبند» و«إمليا» وما إلى ذلك. يمسي في مكان، ويصبح في آخر، وطوّف في «بوريه»[1] و«كُمْتَهله»[2] و«لادوه»[3] و«بنجلاسة»[1] عبر نهر «جمنا» المعروف.[2]

(١) بورية (Boria): قرية غامرة في البنجاب الشرقية.

(٢) كمتهله (Gumthla): قرية غامرة في البنجاب الشرقية.

(٣) لادوه (Ladoh): قرية غامرة في البنجاب الشرقية.

رحلة « حضرة الشيخ » والشيخ الحاج إلى بلاد العرب:

وأخيرًا سار الشيخ الحاج – يعني الحاج « إمداد الله » - إلى بلاد العرب، فبَدَا لكاتب هذه السطور أن يقوم هو بدوره بالحج إلى الحجاز. وفي جانب آخر عقد « حضرة الشيخ » عزمه على الحج، وبما أن اختفاءه لم يكن عن رغبة منه – فقد كان أعدّ نفسه لما يأتيه من العناء – وإنما كان نزولاً عند إرادة أصحابه وأقاربه. أذن له أبواه بهذه الرحلة؛ إذ كانوا يرون فيها الخلاص من هذه النكبة والخوف من ا لاعتقال. وكنت آنذاك – مُعْوِزًا أحمل معي قليلاً من الزاد إلا أن الله تعالى بفضل هذه الرفقة الصالحة هوّن عليَّ معاناة السفر، وإن كان « حضرة الشيخ » هو الآخر مُعْوِزًا، غير أن تكلانه على الله تعالى، واستناده الكلي إليه كفاه. فقطعنا الطريق بسلام آمنين، ولم نلق ما يعاني منه الكثير. وركبنا السفينة، ومررنا بـ « البنجاب »(٣) حتى وافينا « السند »(٤).

---

(١) بنجلاسة (Panjlasa): إحدى القرى الجامعة في البنجاب الشرقية.

(٢) جمنا (Yamuna): نهر في الهند ١,٣٧٥ ك م، من أعظم روافد نهر الغانج، يمر بـ « دهلي » و « آغره » و « إله آباد ». (راجع: المنجد، ص:٢١٧)

(٣) بنجاب (Punjab): ولاية في آسيا الجنوبية تتقاسمها الهند (البنجاب الشرقية)، والباكستان (البنجاب الغربية)، منطقة زراعية خصبة معظم سكانها « سيخ ». (راجع المنجد، ص:١٤٣)

(٤) السند: مقاطعة في جنوب باكستان، عاصمتها حيدر آباد، أكثر مناطق العالم حرارة، فتحها محمد بن القاسم الثقفي عام ٧١٢م، بها مساجد تجمع بين الطرازين: الهندي والإسلامي. (راجع: المنجد، ص:٣٦٧)

ثم ركبنا سفينةً شراعيةً من «كراتشي»[1] أبحرت في جمادى الثانية عام ١٢٧٧هـ، ودخلنا مكة، وشهر ذي الحجة يؤذن بالرحيل. فألقينا عصا الترحال، وقضينا مناسكنا، ثم زرنا المدينة المنورة. ثم قفلنا فركبنا سفينةً في نفس الشهر، وبلغنا «بومباي»[2] وشهر ربيع الأول على وشك الانتهاء. ووصلنا إلى الوطن في جمادى الثانية.

استظهاره للقرآن الكريم:

أقلتنا سفينة شراعية من «كراتشي» عندما توجهنا إلى مكة، واستهل هلال رمضان، فأخذ «حضرة الشيخ» يستظهر القرآن الكريم ويقرؤه في قيام الليل في السفينة، والناس من ورائه يستمعون، وسادته حالة عجيبة ما دام على متن السفينة. دخلنا مكة بعد العيد، فاشترى «حضرة الشيخ« »حلوى» مسقط ووزَّعها بين أصحابه فرحًا بخدمته القرآن الكريم في قيام الليل، ولم يكن عُرِفَ – بعد – كمستظهر للقرآن الكريم. وظل يقرؤه بصوت خافت ويجمعه ويحفظه، خلافاً لما تقرر لدى حفظة القرآن الكريم من أن الجهر بالقراءة مدعاة لتمكنه من القلب.

---

(١) كراتشي (Karachi): مدينة ومرفأ في جنوب باكستان الغربية، على بحر عمان، احتلها الإنجليز عام ١٨٤٣م، وأنشأوا بها مرفأً هامًا للتجارة، عاصمة باكستان حتى عام ١٩٦٠م، ومركز صناعي كبير. (المنجد، ص:٥٨٥)

(٢) بومباي (Bombay): مدينة في غرب الهند، على بحر عمان، مركز صناعي كبير، عرفت بـ«عروس البلاد». (راجع: المنجد، ص:١٤٣)

وكان يذكر – فيما بعد – أنه حفظ القرآن الكريم وجمعه بما قرأه خلال شهر رمضان عامين متواليين. وكان من ديدنه ألا يزيد في الاستظهار – خلال مجلس واحد – على ربع جزء أو يزيد قليلاً.

هذا، وإذا رأيتَه يقرأ في قيام الليل، والناس وراءه قيام، رأيتَه مَرِسًا متمكنًا من حفظه، لا يتلعثم ولا يتردد في قراءته بل يتدفق كالسيل.

ثم أصبح يكثر من قراءته، ويطيل قيامه بالليل، ولا أنسى أنه قرأ سبعةً وعشرين جزءًا في ركعة واحدة، فإذا أحسّ بأحد يأتّم به، ركع، ونهاه عن ذلك، وقام الليل كله لنفسه.

عودته من مكة المكرمة:

وزار «حضرة الشيخ» الحرمين الشريفين، وعاد إلى البلاد خلال مدة تناهز سنة. وذلك عن طريق «بومباي» و «ناسك»[١]، ثم ركب قطارًا سار به إلى الوطن .

وفي غيبته عن البلاد أصدرت السلطات الإنجليزية – بعد ما أمعنت النظر، وقدّرت الأمور – قرارًا يقضي بالعفو العام إلا أناسًا بأعيانهم ممن تأكّدت الشبهات حولهم وقويت لدى الحكومة؛ فإنهم ظلّوا مطالبين حيث ما وجدوا. وقضى «حضرة الشيخ» بعض الأيام في بيته، لا يفارقه.

---

(١) ناسك (Nasik): إحدى المدن بولاية «مهاراشترا» غربي البلاد، بها مصانع الورق، ومركز طباعي حكومي، على نحو ١٣٥٤ ك م من دهلي العاصمة.

وأيامُ الغدر هذه جرّت على كافة المطابع في «دهلي» ويلات دمرتها وتركتها أثرًا بعد عين. أما مطبعة الشيخ «أحمد علي» فلم تكن كبيرةً واسعة النطاق، فلم يجد «حضرة الشيخ» بدًا من البقاء في وطنه، يعيش أيامًا في «ديوبند» وأخرى في وطنه. وقرأتُ عليه –آنذاك- شيئًا من صحيح البخاري.

وأنشأ «المنشي ممتاز علي»[1] مطبعةً في مدينة «ميروت»[2] فاستقدم «حضرة الشيخ» إليه انطلاقًا من العلاقة الوطيدة والحب الصميم الذي يربطهما، فلبّى دعوته، ورضي بالعمل في مطبعته كمصحح للنصوص. وعمله هذا يكاد يكون اسميًا، وقد كان المنشي ممتاز علي هذا توخى من وراء استقدام «حضرة الشيخ» إليه أن يتخذه صاحبًا يشاركه في عمله، ويساعده عليه، لا غير.

---

(١) الكاتب ممتاز علي (١٢٧٦-١٣٥٤هـ = ١٨٦٠-١٩٣٥م): ممن تتلمذ على الإمام النانوتوي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، تلقى دراسته الإنجليزية شيئًا منها في مدرسة عصرية، وشيئًا آخر في بيته، قصد «لاهور» عام ١٨٧٦م، وعُيِّن مترجمًا في المحكمة العليا، أنشأ جريدةً نسائيةً: «تهذيب نسوان» عام ١٨٩٨م بالإضافة إلى جريدة أطفالية: «زهرة» عام ١٩٠٩م، وأضفت عليه الحكومة لقب «شمس العلماء»، مولده «ديوبند» ومثواه الأخير «لاهور». (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأدروي، ص:٢٤٦)

(٢) ميروت (Meerut): مدينة صناعية قديمة بولاية «أترابراديش»، اشتهرت بصناعتها الحديدية، على ٦٦ ك م من دهلي العاصمة.

تأسيس مدرسة ديوبند:

وتقلبتُ في تلك الآونة موظفًا في مجال التعليم والتربية في كل من «بريلي»[١] و «ميروت» وانتهى بي المطاف إلى هذه المطبعة، فتوظفتُ فيها، و وجدتُ جماعةً من الطلبة يسمعون عنه الصحيح للإمام مسلم – رحمه الله – فكنتُ أشاركهم في هذه الدروس.

وتمَّ تأسيسُ مدرسة في ديوبند في تلك الأيام؛ فقد اقترح كل من الشيخ «فضل الرحمن»[٢] والشيخ «ذو الفقار علي»[٣] والشيخ الحاج

---

(١) بريلي (Bareilly): مدينة بالولاية الشمالية، تنسب إليه الفرقة البريلوية، على ٢٥٥ ك م من دهلي العاصمة.

(٢) الشيخ فضل الرحمن الديوبندي (١٢٥٠-١٣٢٥= ١٨٣٤-١٩٠٧م): عالم، وشاعر مُفَوَّهٌ في اللغتين: الفارسية والأردية، انتسب إلى جامعة ديوبند كعضو فعال أمين يقظ، وأبلى في خدمتها بلاءً حسنًا، تقلب في محافظات عدة كمفتش – بالنيابة – للتعليم، وخلّف وراءه فحول العلم من أبنائه، فبيته بيت علم وصلاح، رفيع العماد، عالي الذرى، له أناشيد وقصائد رائعة تنم عن مذاقه الشعري. (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأدروي، ص:٢١١، والإمام النانوتوي حياته ومآثره، ص:١٣٣، وتاريخ دارالعلوم ديوبند للسيد محبوب الرضوي، ط: المركز العلمي، ديوبند عام ١٣٩٢هـ)

(٣) الشيخ ذو الفقار علي والد محمود حسن الديوبندي (١٢٢٨-١٣٢٢هـ = ١٨١٣-١٩٠٤م): أديب اللغة العربية، تخرج على كبار علماء عصره، تولى منصب وكيل مفتيش التعليم عام ١٨٥٧م، اشتهر بتضلعه من اللغة العربية، وتمكنه منها، يُعَدُّ من السابقين ا لأولين في تأسيس جامعة ديوبند. وله: «التعليقات على المعلقات» و«شرح المعلقات السبع»، و«شرح ديوان المتنبئ» و«الإرشاد في شرح قصيدة بانت سعاد»، و«عطر الوردة في شرح قصيدة البردة» – كلها مطبوع – وغيرها من الآثار القيمة. توفي عن خمسة وثمانين عامًا، ودفن بجوار الإمام النانوتوي بـ«ديوبند». (راجع تذكرة مشاهير الهند، ص:١٤٥، وسوانح علماء ديوبند للدكتور

« محمد عابد[1] » إنشاء مدرسة دينية في ديوبند، كما وافقوا على قرار يحدد قيمة الراتب الشهري للمدرس بخمس عشرة روبيةً هنديةً. وأخذوا يجمعون التبرعات ويتلقونها، فلم يمض أيام حتى انهالت التبرعات على هذه المدرسة، وتوسعت هيئة تدريسها، واتُّخذ لها من يعلم الفارسية، ويُحفِّظ القرآن الكريم، وادّخرت الكتب فتكونت مكتبةً عامةً.

ونُدِبَ « حضرة الشيخ » إلى المدرسة، ثم أُسْنِدت إليه أمورها: جليلها ودقيقها وأشرف عليها. والتعرض لما مر بالمدرسة من أوضاع وأحوال حرجة شيء لا يجدي كثيرًا، ونحبذ الإعراض عنها؛ إذ يتبين ذلك – بكل وضوح – من خلال التقارير الدورية.

ثم بدا لـ « حضرة الشيخ » أن يحج إلى بيت الله، فقام بالحج مع رفقاء له وعاد، كما سافر «المنشي ممتاز علي» إلى الحجاز ينوي الإقامة به واستيطانه، غير أنه عاد منه بعد ذلك بعام. ثم توجه « حضرة الشيخ » إلى دهلي حيث أنشأ «المنشي الكاتب ممتاز علي» مطبعةً له. وسبق أن اشتغل

نواز الديوبندي ٤٧٣/١، ط: نواز ببلي كيشنز ديوبند، قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢٠٦)

(١) الشيخ السيد محمد عابد (١٢٥٠-١٣٣١هـ = ١٨٣٤-١٩١٣م): عالم خيّر صالح، وُلِد في «ديوبند»، وتلقى العلوم البدائية بها، ومال إلى التصوف والسلوك، وساهم كثيرًا – في بناء دار العلوم، وتولى إدارتها ثلاث مرات، وعكف على الأذكار والأوراد، وانتفع به خلق كثير، لازم مسجد «تشته» ستين عامًا – وهذا المسجد هو الذي بدأت به جامعةُ ديوبند كمدرسة إسلامية – ووافته المنية عن واحد وثمانين عامًا. (راجع: تذكرة مشاهير الهند، ص:١٤٥، والإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:١٣٢، قاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ٢٠٦)

« حـضرة الـشيخ » في المطبعـة الـتي أنـشأها المولـوي « محمـد هاشـم » في « ميروت » في المدة التي غاب فيها «المنشي ممتاز علي» عن البلاد.

تدريسه زمن الإقامة بـ « ميروت »

المتضمن لبيان النكات والنوادر:

وأكثر «حضرة الشيخ» — حينئذ — من تعليم الطلاب، ولم يَدَعْ كتابًا من الكتب المتداولة إلاَّ قام بتدريسه هـادئ البـال، مطمئن الـنفس، متمكناً من تدريسه، الـذي كـان يتضمن مـن مـواد غزيـرة مـا لا أذن سمعـت، ولا قلب أدركه، ويأتي بما نـدر وعـزّ مـن دراسـات وتحقيقـات علميـة تُوَفِّـق بـين وجوه الاختلاف، وبمباحث تلمس جذور الموضوع، وتشرحه شرحًا وافيًا.

ولا يـزال ثمـرة تدريـسه ملموسـةً ظـاهرًة. ولا شـك أن الـذرة دون الـشمس بمراحـل إلا أنـه يعكـس ذلـك الجمـال والفـضل، ويتجلـى فيـه مـا يوجب عزمه وتصميمه، فمن شاء فلينظر وليستمع إلى ما يكتب ويخطب.

وسجل « حضرة الشيخ — » خلال هذه الأيام — أشياء منهـا مـا هـو رد على سؤال وُجِّه إليه، وما هو تحقيـق لطلـب صـديق لـه، ومـا هـو دون هذا وذاك. وهذه المواد كثيرة جدًّا لأَنَّ تـشردها جعـل جمعهـا وتأليفهـا مـن الصعوبة بمكان. وأكثر ما رغب في إفادة الناس، في تلك الأيام.

والأخذ عن « حضرة الشيخ » من الصعوبة بمكـان، ولا يـتمكن منـه إلا ذو موهبة وذكاء مفرط، لديه دراسة واعية مـسبقة للكتـاب الـذي يريـد

قراءته عليه، وحينئذ يتأتى له فهم ما يلقيه «حضرة الشيخ» رغم أنه كان يجعل السهل أكثر سهولةً وأقرب منالاً، ويمهد له تمهيدًا، غير أن الكلام الصعب، عسير المنال، غير مطاوع.

واشتهر في تلك الأيام ما كان يلقيه الأساقفة من خطابات مسمومة تحاول النيل من الإسلام، ويقوم بالرد عليها بعض المسلمين القاصرين دراسة وعلمًا – ما وسعهم ذلك–. أما أهل العلم الراسخون الذين هم أحق بالرد عليها وأولى بالقيام بدحض أباطيلها وأسمارها فكانوا ينأون بجانبهم عن ذلك، حتى أهاب «حضرة الشيخ» بأصحابه وتلاميذه إلى القيام في الأسواق، وكشف شبهاتهم، وبيان عوارها، والتكاتف مع أولئك القائمين ضد النصارى، وشد أزرهم. وأخيرًا توصلوا إلى عقد اجتماع يتناظرون ويتباحثون فيه واتُّخِذ له موعد لا يخلفه أحد.

نكايته في أحد الأساقفة «تارا تشند»:

حضر «حضرة الشيخ» هذه المباحثات متنكرًا في زي غير طائل، ولم يتخذ أناقةً، وناظر أحد الأساقفة«: تارا تشند» طويلاً حتى أفحمه فلاذ بالفرار.

ولقي – تلك الأيام – الشيخ «منصور علي الدهلوي»[1] الذي

(١) الشيخ منصور علي الدهلوي (١٢٣٧–١٣٢٠هـ = ١٨٢٢–١٩٠٢م): أخذ العلم عن أبيه وجده، ودرس مذهب الشيعة على علمائه في لكناؤ سبع سنوات، كما قرأ الإنجيل وغيره من

عرف بنشاطاته الملموسة في مناظرة النصارى، ومباحثتهم، وامتاز بها بين الناس. وكأنه يحفظ «الكتاب المقدس» وله نَفَس في سير المناظرات معهم، وأصبح تلاميذه – دون غيرهم – يقومون ضد النصارى، وأساقفتها، يصدعون بالحق ويناظرون معهم في دهلي.

عقد احتفال للتعرف على الله تعالى:

ومن المصادفات أن بعض الإقطاعيين في «تشاندا فور» بمديرية «شاه جهان فور»(١) بولاية أترا براديش المدعو «بياري لال» – وهو هندوكي يتبنى آراء أحد المصلحين الهنادك: كبير داس(٢) مالت نفسه إلى النصرانية، ورغب في اعتناقها – حاول عقد اجتماع يشهده كل من ممثلي الديانات

الكتب على الأسقف المعروف وشارح الكتاب المقدس: «إيل إسكات». عالم باللغات: العربية والفارسية والهندوسية والإنجليزية والعبرية، واسع الدراسات، واعٍ لما درسه في ذاكرته، ناظر كبار الأساقفة فأفحمهم وبكّتهم، صحب الإمام النانوتوي وساعده في مناظرة «شاه جهانفور». واعترافا بفضله وبراعته في الرد على المسيحية خلع عليه علماء عصره لقب «إمام فن المناظرة». له مؤلفات قيمة تربو على مئة. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢٠٩)

(١) شاه جهان فور (Shahjahan Pur): إحدى مدن الولاية الشمالية، تنسب إلى الملك المغولي «شاه جهان» على ٣٣١ ك م من دهلي العاصمة، و «تشاندا فور» إحدى أعمالها على نحو ١٥ ك م من المدينة.

(٢) كبير داس (وجد ما بين ١٤٦٨-١٥١٨م): ينتمي إلى بيت يتكسب بالحياكة، هندوسي تبنّى التوحيد، وبشر به وشرع دينًا جديدًا يدعو إلى الواحدانية، قوبل بالاحترام في الأوساط الهندوسية والمسلمة في الهند، كل يراه نازعا إلى دينه ومعتقداته، شاعر قدير خدمت أشعارُه دينَه الذي شرعه وارتضاه. (راجع: فرهنك آصفيه للمولوي السيد أحمد الدهلوي ١٥٤٩/٢، ط: ترقي أردو بيورو، دهلي الجديدة، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢١٠)

الـثلاث : الهندوسـية والإسـلام والنـصرانية ، فيـتم خلالـه مباحثـات ومناظرات دينية. وسمي هذا الاجتماع : « الاحتفال الرامي إلى التعرف على الله تعالى » ، وذلك عام ١٢٩٣هـ.

فأرسل أهل مدينة « بريلي » ، ومن حولها إلى « حضرة الشيخ » من يبلغه هذا الاجتماع ، ويطلب منه الحضور والمشاركة فيه. فأعدّ عدته ، وشد رحاله إليه ، وسبق أن استدعى الشيخ « منصور علي » من دهلي إليه. وصحب « حضرة الشيخ » أناس من ههنا ، فساروا حتى وصلوا إلى « شاه جهان فور » فدخلوا القرية التي اتخذت موقعًا لهذا الاجتماع ، ومسرحًا لهذه المناظرات.

وأول مـا نـشب الاخـتلاف في تحديـد الموضـوع الـذي يدرسـه الاجتماع ، بالإضافة إلى اختلاف في الموعد المحدد الذي يلتزمه كل من المشاركين. وأخيرًا توصّلوا إلى الموافقة على إجراء المباحثات والبدء فيها دون أن يحددوا الموضوع ، وأسلموا ذلك إلى الممثلين وليتعرض كل منهم لما يعتقده ويتبناه هو إذا ما جاء الدور عليه.

وفي هذا الوقت المحدد ألقى « حضرة الشيخ » خطابًا بليغًا يرد على التثليث والشرك ، ويؤكد على ضرورة التوحيد ، فذل له أعناق من أحبه ومن أبغضه ، وآمنوا بما قال ، ورضوا به. وقد تمّ نشُر وطباعة التقرير عن الاجتماع ، وهو في متناول الأيدي ، فلينظر من شاء. وتضمن التقرير ما ألقاه « حضرة الشيخ » من محاضرة بليغة.

ولجأ الأساقفة إلى التعرّض لقضيّة القدر كما هو دأبهم ؛ إذ لا يرون أنفسهم في مأزق يصعب الخروج منه إلا لاذوا به ، وانصرفوا إليه. فشرح « حضرة الشيخ » هذه القضية البالغة من الصعوبة بمكانٍ شرحًا قربها إلى أذهان الخاصّة والعامة ، وانشرحت صدورهم بها.

وفي السنة التالية ١٢٩٤هـ بلغ « حضرة الشيخ » انعقادُ الاحتفال فشهده ، كما حضره كاهن هندوكي شهير وهو « ديانند سرستي »[١] وديانند هذا شرَّع دينًا جديدًا يؤمن بالتوحيد ، وينكر عبادة الأصنام ، وينحو باللائمة عليها خلافًا لما يعتقده ، ويتبناه عامة الهنادك ، غير أن إيمانه بـ« فيد »[٢] ، وتبنيه التناسخَ وغيرَه من المعتقدات الهندوكية جعله يشارك الهنادك في معظم القضايا. وكان يكثر من استخدام الكلمات السنسكريتية في خطابه ، فصعب على غير أهلها فهم خطابه ، غير أن الشيخ محمد

---

(١) ديانند سرستي (م ١٨٢٤-١٨٨٣): كاهن هندوكي وُلِد في قرية من قرى ولاية «كجرات»، وسافر إل «متهرا»، وتلقى اللغة السنسكرتية عن أحد الكهان الهنادك هناك، ثم انضم إلى منظمة دينية سياسية استعمارية. له كتاب شهير ندد فيه بالمعتقدات الهندوكية الخرافية وأنكر عليها إنكارًا لاذعًا، كما تعرض فيه للعقائد الإسلامية، ونشر كتابه هذا عام ١٨٧٥م، وفي نفس العام وضع دينًا جديدًا يهواه، سماه: «آريه سماج» (المجتمع الآري)، وقف الهنادك من تعقباته اللاذعة موقف الساكت الراضي، أما المسلمون فأبوها وقاوموها وقرعوا له العصا، واستمر نزالهم ونزاعهم معه طوال خمسة وعشرين عامًا. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٢٠٣-٢٠٤، قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢١٢)

(٢) «فيد»: كتاب يقدسه الهنادك، والدراسات الحديثة تقول: إنه عبارة عن كتابين: «رغويد»، و«أهرون ويد»، وقيل هو ثلاثة كتب. (راجع: فرهنك آصفية للمولوي السيد أحمد ٢٤١٥/٣)

علي[١] الشهير بالكفاح ضدَّ الهندوسية، والرد عليها قام بمجاوبته ودحض أباطليه. ثم تعرض «حضرة الشيخ» في خطابه لقضية الوجود والتوحيد، وشرحها شرحًا وافيًا ألقم الحضور حجرًا، وحملهم على الإصغاء إليها، والاستماع لها.

نكايته في الأساقفة:

واستفاض «حضرة الشيخ» في إثبات التحريف لدى النصارى. فاعترف الأساقفة بتسرّب التحريف والتبدّل إلى كتابهم المقدس لديهم، ولاذوا بالفرار حين حمي وطيس المناظرة، وتشردوا أيادي سبا، وأعجلهم الفرار عن بعض مصادرهم ومراجعهم التي قدموا بها. وخرج «حضرة الشيخ» من هذه المناظرة مرفوعَ الرأس، تم على يديه الانتصار للدين الإسلامي الذي كتب الله له البقاء والانتصار حتى تقوم الساعة، ولو كره الكافرون.

---

(١) الشيخ محمد علي: المراد آبادي (١٢٣٤-١٣٠٥هـ = ١٨١٧-١٨٨٧م) بعدما انتهى من تعليمه مارس الوظيفة عام ١٨٣٣م، وتقلب في مناصب عديدة، حتى عُيِّنَ ضابطَ مال في قرية «تهانه بهون» التابعة لمديرية مظفر نغر، وأحيل إلى المعاش عام ١٨٧٦م. سيّال القلم حاضر العلم، ردّ على ما وُجِّه إلى الإسلام ومعتقداته من الاعتراضات. ما إن صدر كتاب يرمي إلى النيل من الإسلام حتى بادر إلى الرد عليه. و وضع مؤلفات قيمة في الرد على الاعتراضات التي وجّهها إلى الإسلام الكاتب «إندر من» المراد آبادي، ومن أهم مؤلفاته: «سوط الله الجبار» و«الفتح المبين على جميع الشياطين» و«سيف الله القهار على رؤس الكفار» و«ظفر مبين على جميع الشياطين» كما وضع كتابه: «البرهان على تجهيل من قال بغير علم في القرآن» في الرد على آراء السر سيد أحمد خان. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢١١)

وهـذان الاحتفـالان في عـامين متتـاليين ممـا كـشف للنـاس مكانتـه العلمية ومقدرتـه وموهبتـه، وأدركـوا كيـف يـأتي نـصر الله تعـالى وعونـه، وفضله، وتجسّد لهم ما قيل: إنه لا يرجع إلا إلى تأييد من الله ونصرته حتى انطلقت ألسنة الأساقفة بالاعتراف بأن هذه الكلمات بما تحمل في طياتها من بلاغة ومفعول كبير، كفيلة بحمل المرءِ على الإيمان بالقدر إن كان الإيمان به حقًا.

هذا، والإيمان بالقدر لا يهتدي إليه، ولا يُوَفَّقُ له إلا من كتب الله له ذلك. وطريقةُ الحق نقية بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

والتقرير عن هذا الاجتماع لم يتم – بعد – نشره وطبعه، وإن كان قد دُوِّنَ وجُمِعَ في ذلك المكان.[1] والآن بعد ما بلغ به المرض نهايتَه وحان أجله تمَّ الشروع في طبع هذا التقرير، والمأمول أن يرى النور حتى يشتهر، ويعم نفعه.

وبلغني – يومئذ – أنه في حاجة إلى تقدمة كلمات عليه، فقام «حضرة الشيخ» بتوفية هذه الحاجة، وقضائها، وسماه: «حجة الإسلام»، وتمّ إصداره.

رحلته برفقة الشيخ «رشيد أحمد» - و «أنا» معهما - إلى الحجاز:

وعقد الشيخ «رشيد أحمد» عزمه على الحج لبيت الله ذلك العام،

---

(١) قد مضى زمان على طباعة هذا التقرير.

فأعددتُ نفسي له، ولم نَدَعْ «حضرة الشيخ» حتى استصحبناه عندما سرنا إلى مكة، ورافقه غير قليل من أصحابه الْمُعْجَبِيْنَ بهِ.

خرجنا في شوال عام ١٢٩٣هـ وقفلنا إلى الوطن في الأيام الأولى من شهر ربيع الأول، ورفقتُنا هذه لم تضم إلا علماء يتراوح عددهم ما بين ثمانية عشر وعشرين حاجًا بمن فيهم «حضرة الشيخ» فكانت خير رفقة.

إصابته بمرض في طريق العودة:

وسعدنا بزيارة الشيخ – أي الشيخ «إمداد الله» المهاجر المكي– والأمكنة المقدسة. وصلنا «حدة»[1] إذ أدرك «حضرةَ الشيخ» الحمى، فقلنا في أنفسنا: إنها ترجع إلى مفارقة هذا الشيخ الجليل[2]، والمشي المتواصل، أضف إلى ذلك أنه لم يكن يعاني من مرض قبل الحج. فما إن بلغنا «جدة» حتى ركبنا سفينةً كادت تقلع مراسيها لتبحر، بينما السفن الأخرى أخرت إبحارها لمدة عشرة أيام أو أسبوعين، وتوقعنا أن الوصول إلى «بومبائي» يستغرق خمسة عشر يومًا. فهلا نتحمل شيئًا من ا لمتاعب التي يسببها ضيق المكان في السفينة!! فركبناها، وفعلاً عانينا فيها من المتاعب ما يعدل تلك الرواحة والطمأنينة التي لقيناها عندما أبحرنا إلى مكة.

---

(١) حدة: بين مكة وجدة، كانت تسمى «حداء». (راجع: القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧هـ ص:٣٥٣، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، وترجمة النانوتوي للكيلاني ٨٢/٣)

(٢) أي الحاج إمداد الله المهار المكي رحمه الله.

فما مضى يومان على متن السفينة حتى ألم بـ« حضرة الشيخ » نوبةٌ عادية من الصفراء ، ونزل به الحمى في مكان بعيد عن الراحة والدواء ، وحيث لا ينفع حيلة أريب. وأخذت وطأةُ المرض تشتد عليه حتى بلغ به حالةَ دب اليأس إلى قلوبنا. وعمَ الوباء في السفينة ، وانتشر انتشارًا مروعًا ، يلتقم – لكل يوم – نفسًا أو نفسين. ثم دخلت السفينةُ « عدن »[١] ففرض عليها « كرنتينا » أي ملازمة المحجر الصحي (Quarantine) وحجر عليها صحيًّا لأجل الوباء الذي أحدق بأهلها ، مما منع من في السفينة من النزول إلى البلد ، ومَن بالبلد من الصعود إلى متن السفينة ، ثم رست السفينة في « مكلا »[٢] قليلاً ، تمكن الركاب من شراء الليمون من الباعة الصاعدين إلى السفينة ، كما اشترينا البطيخ والورد وشيئًا من الأدوية في السفينة. ووصف له الطبيب «الكينين QUININE» ، وأمر له بمرق الديك. وأنّى لنا الديك في مكان مثله ، فأحضره هو (الطبيب).

وكان من ديدن « حضرة الشيخ » أن ترغب نفسه عن تناول الغذاء خلال نوبات المرض أيَّ رغبة فبلغ « بومباي » منهوكَ القوى ، لا يستطيع الجلوسَ إلا بشق النفس ، ولبثنا بها يومين أو ثلاثةً. ثم غادرناها إلى

---

(١) « عدن » : مدينة ومرفأ في الجزيرة العربية، على خليج « عدن » ، قرب باب المندب. (راجع: المنجد، ص: ٤٥٧)

(٢) مكلا: مدينة في « حضرموت » قاعدة المحافظة الخامسة (اليمن الشعبيّة)، كانت جزءًا من محمية « عدن » ، مركز تجاري هام، ونقطة اتصال بين الهند والصومال، وجمهورية اليمن الشعبية. (راجع: المنجد، ص:٦٧٢)

الوطن، فاستقبلنا سموم ولوافح هبت في سهول مدينة «جبل فور»[١] رغم أن الفصل شتاء، فساءت حاله، وكنا نحمل معنا — والحمد لله على ذلك — الليمون والبرتقال، فأطعمناه وسقيناه ماءً.

بلوغه الوطنَ ونقوهه:

وبلغ الوطنَ فزال المرض، ونَقِهَ، وتوقف السُّعال، وربما يعاوده نوبات نفسية، فيصعب عليه الاستطراد في الحديث، ثم خف عنه ذلك قليلاً.

اشتهار أمر «ديانند»:

وفي شهر شعبان من نفس العام (أي ١٢٩٤هـ) أتاه من «روركي» آت يخبره بوجود «ديانند» في المدينة، وما ينفثه من سموم وطعون في الإسلام. وحمل أهلُها «حضرة الشيخ» على أن يقوم بزيارة المدينة، ومقاومة «ديانند» الجموح، فشدّ رحاله — رغم ما كان يعانيه من مرض وضعف — وصحبه جماعة من أصحابه والمعجبين به. وَصَلَ خلائق لا تحصى من كل صوب وحدب إلى المدينة طامعةً في الاستماع لكلامه وطامحةً إليه.

«ديانند» يلوذ بالفرار بمجرد سماعه قدومَه:

غير أن هذا الرجل المسكين لم يرض بالحديث معه، وأخذ يتعلل

(١) جبل فور (Jabal Pur): مدينة بولاية «مدهيا براديش»، ومركز صناعي للمفروشات، والملابس القطنية وغيرها، على نحو ٩٥٨ كم من دهلي العاصمة.

بشروط واهية دلّت على سوء نيته وخبث إرادته. والعاقل تكفيه الإشارة. وأخيرًا خرج منها خائفًا يترقب. وألقى «حضرة الشيخ» هناك خطبةً، وأطال نَفَسَه في دحض أباطيله وأسماره، وردّ على طعونه، ثم عادإلى «ديوبند»، وقضى شهر رمضان في وطنه. وأخذ يدون ما ألقاه في «روركي» ردًّا على طعونه في الإسلام. وأكبر مطاعنه في الإسلام تمثل في الاستقبال والتوجه إلى الكعبة في الصلاة، إذ اعتبره من عبادة الأصنام. وسمى «حضرة الشيخ» هذه الرسالة: «قبله نما» (أي الهادي إلى القبلة)، وهي رسالة ضخمة.

وطوف «ديانند» في أماكن كثيرة، وانتهى به المطاف إلى «ميروت» يوجه إلى الإسلام المطاعن التي سبق أن وجهها في مدينة «روركي» من قبلُ، وأخلِقْ بفاقد الحياء أن يفعل ما شاء له الهوى. وذلك في وقت كان في نفس «حضرة الشيخ» أن يزور «ميروت»؛ إذ قام بعض أهلها يرغب الناس في ندب «حضرة الشيخ» إليها، فاستعد له – رغم ما كان به من علّة، وضعف أنهك قواه –، وتجلد على السير إليها، ودخل المدينة، فإذا بالكاهن الهندوكي هذا يخلق معاذير، ويدبر الحيل فرارًا من مناظرته.

قيامه بالرد عليه، وتسمية الشيخ: عبدالعلي[1] له ب«الرد المماثل»:

وقام «حضرة الشيخ» بها – كذلك – بالرد عليه، وأخذ يدون شيئًا من

(١) الشيخ عبد العلي (المتوفى ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م): أخذ عن الإمام النانوتوي، والمحدث أحمد علي السهارن فوري. وأخذ عنه: الشيخ المربي أشرف علي التهانوي؛ درس في دار العلوم ديوبند زمنًا، ثم غادرها إلى مدرسة «حسين بخش» في دهلي، وقضى بها حياته، وبها توفي. (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأدروي، ص:١٧٣-١٧٤، قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢١٩)

ذلك، فرتبه الشيخ «عبد العلي» كإجابة عن مطاعنه واعتراضاته وسماه «جواب تركي بتركي» (أي الرد المماثل). وسبق أن ردّ بعض أصحاب هذا الكاهن الهندوكي على كلام الشيخ هذا، وتفوّه بأشياء منكرة لاغية تحاول النيل من الإسلام وليس لها أساس، فجاءت هذه الرسالة بمثابة الرد على رده.

ثم تتابعت عليه نوبات المرض في أوقات متقاربة، وكاد يضيق نَفَسه غير مرة، ثم خفف الله تعالى عنه وطأته، فحسبناه مرضًا أزمن وليس ذلك إلا نوبة من نوباته مما لا يبعثنا على قلق زائد، ولم نكن فقدنا كل أمل في حياته، وعودة الصحة؛ إذ لم ندع وجهًا من وجوه التداوي إلا جرّبناه، ولم يزد ذلك إلا سوءًا، وعمل له الأطباء بالطب اليوناني (العربي) كل ما رأوه ناجعًا، كما أفرغ الأطباء العصريون وسعهم في إيجاد حيلة تنجيه من براثن الموت الفتاك، واتّخذ له الأدوية الهندية من «قسطة» والعصير، ولم يغن ذلك فتيلاً، وما برح به المرض.

سنتان من مرض تخللهما نَقَه:

ومرت سنتان وهو مريض، ويتخلّلهما نَقَهٌ فيعود إليه بعض القوة، ثم يعاوده نوبة من نوبات ضيق النَفَس، فيغلبه الضعف والنهك، فإذا انتابه المرض، واستمر يومًا سلب قوةً جلبته أيام.

وخلال هذه الأيام – أيام المرض- لم يوصف له علاج إلا تعاطاه، ولم يُحْضَر له دواء إلا رضي بتناوله، ولم يتخذ له أحد حيلةً إلا مارسها، وجرّبها، وكل ذلك جريًا على خلاف ما تعوده. إلا أنه أصبح مرهفًا، لطيف

الحس لا يرضى من الدواء إلا ما وافق مزاجه وطبعه. فإذا شرح له أصحابه ومحبوه، وبينوا له ذلك لم يستنكف عن تناوله. واستسهل غير مرة، فيخف وطأة المرض لمدَّة غير طويلة ولا يستأصل المرض، ولا يقضي عليه نهائيًا.

وأفرغ الطبيب مشتاق أحمد الديوبندي[١] وسعه في مداواته، ولم يكن يفارقه يومًا كما أن الطبيب الحاذق الحافظ عبد الرحمن المظفرنغري[٢] هو ا لآخر استنفد حيلته في علاجه، لكن القدر كائن لا محالة، يستحيل الفرار مما كتب الله وقدر، وداءُ الموت ليس له دواء، وأجلُ الله تعالى — إذا جاء — لا يؤخر، ولو نفع الدواء، ونجح الحيلة دون القدر لم يحُلْ دون عودة الصحة إليه شيء، فقد توفّر له من الأدوية ما يصعب على الأثرياء إحضارُه وتعاطيه، وهيئ له من العلاج قلما ينال مثله ملوك الأرض، ولكن أين

---

(١) الطبيب مشتاق أحمد الديوبندي (المتوفى ١٣٠٩هـ): طبيب حاذق ذكي، فطن، نبيه، له حنكة واسعة طويلة موفقة للداء والدواء اشتهر بحذقه في الفن، قويت صلته بالنانوتوي، فلم يأل جهدًا في علاجه وإيجاد حيلة تنجيه من غائلة الموت وأوقف قطعة أرضية دُفِنَ فيها النانوتوي بعد الموت، وعُرِفَت فيما بعد بـ «المقبرة القاسمية». و لم أعثر — من ترجمته — على أكثر من هذا. (راجع: ترجمة النانوتوي للكيلاني ١٠٢/٣-١٠٣، والإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٢٢٢، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ٢٢٠)

(٢) الطبيب عبد الرحمن المظفر نغري (المتوفى ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م): من أصحاب الإمام النانوتوي الأصفياء المخلصين له، وكان طبيبًا رسميًا في سجن «مظفر نغر» استأذن الإمام أن يقدم له خدماته الطبّية فأذن له بذلك فاستصحبه المذكور إلى «مظفر نغر»، واستضافه في عيادته ودبر له كل حيلة تعيد إليه الصحة، وقدم له أغلى الأدوية مغبوطًا بما سعد به من هذه الخدمة الطبية. (راجع: الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأدروي، ص:٢٢٢-٢٢٣، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ٢٢١)

الطمع، ومخافة الموت من إيمانه النابع عن قلبه المطئمن.

«حضرة الشيخ» يعود الشيخَ «أحمد علي» في «سهارن فور»:

وفي الأيام الأخيرة من حياته نزل بالشيخ «أحمد علي» الفالج، فاتّجه «حضرةُ الشيخ» إلى «سهارن فور» يعوده، وسبق أن استدعى الطبيب «عبد الرحمان» من «مظفر نغر»[١]، وعاد إلى «ديوبند» مساء اليوم — الذي سار فيه إلى «سهارن فور» — بالقطار، فمسَّه نصب تسبب في معاودة مرضه. ثم تحسنت حالته بعد ذلك بأيام، وعادت إليه الصحة. فلما وجد في نفسه قوةً وخفةً، طلب منه ابني علاء الدين[٢] أن يفيده شيئًا مما علمه الله، فرضي «حضرة الشيخ» بذلك، وأخذ يحدّث حديثًا أو حديثين من السنن للإمام الترمذي[٣] عقب صلاة العصر، ويجدّ في تحديثه ما لم يأخذه سعلة، فيتوقف قليلاً حتى تهدأ ثورتها، ثم يستمر فيه، وإذا ما غلبه السعال أوقف التحديث.

وفي تلك الأيام قصد «سهارن فور» مرةً ثانيةً؛ إذ لا زال الشيخ أحمد علي — رغم ما خف من مرضه- يعاني من الحمى، والضعف المتناهي، فطلب إليه الشيخ أحمد علي أن يقضي أيامًا لديه، فلم يمانعه «حضرة الشيخ»

---

(١) مظفر نغر (Muzaffar Nagar): مدينة في غربي شمال الهند على ١٢٥ ك م من دهلي العاصمة.

(٢) علاء الدين بن محمد يعقوب: (١٢٧٨-١٣٠١هـ = ١٨٦١-١٨٨٤م) حفظ القرآن، وتلقى الدراسة في دار العلوم / ديوبند وتخرج فيها، أخذ عن الإمام النانوتوي. كان متفوقا بارزًا، يحسب كلٌّ من يراه أنه يرث أباه في علمه وعمله إلا أنه أصيب بالهيضة، فتوفي وله ٢٣ سنة. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٢١)

(٣) الإمام الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة إمام، ومحدث شهير.

ولبث أسبوعين عنده، وإن لم يكن تعوّد قضاء مدة طويلة مثل هذه في «سهارن فور»، فعادت إليه نوبة المرض، كما نزل به داء «ذات الجنب»[١].

بلغنا مرضه هنا – في ديوبند – في اليوم التالي منه، فقصد الحافظ أنوار الحق[٢] يومه إلى «سهارن فور» ليرجع بـ «حضرة الشيخ» صباحَ الغد إلى «ديوبند»، فعاد إليها، وقد تبدلت حالته من سيء إلى أسوأ، واحتبس نَفَسه فاضطر إلى «الافتصاد» مما سكن ألمه لبرهة، ثم وَخَزَه الألم، فاتخذ له «العلق»[٣] لتطيب نفسه لمدة يومين أو ثلاثة، ويتنفس الصعداء، وطُلب له – خلال هذه المدة – أدوية من دهلي تقوي جسده، وتبعث فيه النشاط والقوة، وقد بلغ به الجهد كل مبلغ، لا يطاوعه لسانه إلا بشق النفس، واشتدت به الحرارة، وربما يسوده غفلة، فناولوه (الملِّين)، ثم بَدَا لهم إعادتُه ففعلوا فازداد غفلةً وذهولاً. وظل يجاوب الناس حتى دخل الظهر وقد غلبه الإغماء، ونبهوه للصلاة فلم يزد أن قال: «نعم»، لم يستطع أن يقوم إلى التيمم ولا الصلاة، فأخذ شيء من اليأس يدب إلى قلوبنا.

---

(١) داء يُسَمَّى بالإنجليزية «Pleurisy» يحدث بموضع من مواضع الجنب وفي الأغلب فيما يلي الثدي.

(٢) الحافظ أنوار الحق: رُبَّما عَنَى به ابنَ السيّد منصب علي بن كريم بخش، الذي كان الأخَ الأكبر لكل من الشيخ سراج الحق المتوفى ١٣٠٢هـ والشيخ المنشي السيد فضل حق المتوفى ١٣١٥هـ، انظر «تذكره سادات رضويه ديوبند» للسيّد محبوب رضوي بالأردية، ص: ٣٦، ط: ديوبند ١٣٩٤هـ. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ٢٢٢)

(٣) العلق: دود أسود يُمتص الدم، يكون في الماء الآسن.

رحلته إلى الدار الباقية:

وفي آخر يوم من حياته انعقد لسانه، وأخذت عصباته تتشنج، فعلمنا احتضاره وإشرافه على الموت ثم مضى الليل ونهاره والليل التالي، حتى انتصف النهار يوم الخميس، وقد حضره أصحابه جميعًا من «أمروهه»[١] و «مراد آباد»[٢] و «سهارن فور» و «كنكوه»[٣]، و «نانوته» وغيرها، لَفَظَ نفسه الأخير عقب صلاة الظهر من يوم الخميس في الرابع من شهر جمادى الأولى عام ١٢٩٧هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فقامت القيامة، ووقع ما تخوفناه، وغصت الدار بمن فيها وضاقت عنهم، فنُقِلَ جثمانُه إلى المدرسة، حيث بقي حتى تم غسله وتكفينه.

ودُفِن في بقعة خارج البلد، وقفها الطبيب مشتاق أحمد كمقبرة له يومئذ، فكان أول من قُبِرَ في تلك البقعة «حضرة الشيخ» وصلي عليه قُبيل صلاة المغرب في فناء البلد، وحضرتِ الصلاةَ عليه خلائقُ كثيرة لم تشهد تلك المناطق اجتماعًا يماثله، ودُفِن بعد صلاة المغرب، وأحيل التراب على «خزينة الخير هذا».[٤]

---

(١) أمروهه (Amroha): بلدة شهيرة بالولاية الشمالية الغربية على نحو مائة كلو متر من دهلي العاصمة. تحولت الآن مديرية وصارت مدينة.

(٢) مراد آباد (Morad Abad): مدينة شهيرة جدًّا، ومركز صناعي للأواني النحاسية، بالولاية الشمالية، على نحو ١٦٣ ك م من دهلي العاصمة.

(٣) كنكوه (Gangoh): من أعمال «سهارن فور» بالولاية الشمالية، أنجبت فحول العلم أمثال الشيخ المربي «رشيد أحمد الكنكوهي».

(٤) وقد أُرِّخ لوفاته: «هائى خزانه خوبي» (أي وا خزينة الخير)

تلقى الناس وفاتَه بحزن بالغ لم يسبق له مثيل، وأخذ منهم الأسى كل مأخذ، إلا أنهم لم يقوموا بلطم الوجوه، والولولة وشقّ الجيوب وضرب الخدود، إذ لم يكن لأحد منهم أن يتعدَّ حدود الله تعالى بما سعدوا من صحبة «حضرة الشيخ» غير أنا لم نسمع حزنًا عمّ الناسَ مثلُه، أعلى الله درجاته في الجنة، وأسكنه بجوار رحمته.

وكنت أرسلت إلى «الشيخ رشيد أحمد» يوم الثلاثاء، فقدم قبل أن ينتصف نهارُ يوم الأربعا، ثم عاد إلى «سهارن فور» يوم الجمعة، وحلّ مأساة تفوق التصور، غير أنه جلد صبور على المصائب فاحتسب والتزم الصمتَ، وأكثر من الصلاة، وقد كان يعاني من مرض من ذي قبل، فانقلب أسوأَ حالاً لأجل هذه المأساة.

وفاة الشيخ «أحمد علي»:

وبلغ «سهارن فور» فإذا بالشيخ «أحمد علي» قد حان أجله، وجاد بنفسه يوم السبت فحلت به مصيبة تتلوها مصيبة وبلاء يعقبه بلاء؛ غير أن وفاة «حضرة الشيخ» خففت من وطأة هذه المأساة الأخيرة، وإلا كانت كارثة أي كارثة لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

أبناؤه وأنجاله:

وأعقب «حضرة الشيخ» ابنين: [١] أحدهما: أحمد[١] البالغ من

---

(١) وللإمام ابنٌ ثالث مات صبيًّا.

عمره ثمانية عشر عامًا. شاب متزوج، مكب على الدراسة، ذو ذهن متوقد، وقريحة ماضية، رزان وقور، جعله الله تعالى يقفو أباه، وحباه من السمعة الطيبة والعز الرفيع ما أناله أباه، وأعم به الصلاح والتقوى والعلم والفضل.

ونجله الأصغر: محمد هاشم البالغ من عمره ثماني سنوات: رشيد واع، قويم السيرة والسريرة، يتحفظ القرآن الكريم، رزقه الله من المواهب ما ظهر منها وما بطن.

بناته:

وله ثلاث بنات إحداهن: إكرام النساء، تكبر ابنه: أحمد، وسائرَ أولاده، فهي بكر أولاده، زوّجها «حضرةُ الشيخ» من المولوي «عبد الله»[٢]. وعبد الله هذا ابن اختي، ومن ذرية[١] الشاه أبي المعالي

---

(١) أحمد بن الإمام محمد قاسم النانوتوي (١٢٧٩-١٣٤٧هـ = ١٨٦١-١٩٢٨م): نجل صاحب الترجمة، حفظ القرآن الكريم، وتلقى دراسته البدائية في إحدى المدارس في «كلاؤتهي» بمديرية «بلند شهر»، وأخذ عن الشيخ أحمد حسن الأمروهوي، تخرج في دار العلوم «ديوبند» على كبار مشايخها أمثال: شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، عين مدرسًا بدار العلوم عام ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م ثم اختاره الكنكوهي لإدارة الجامعة وشهدت له أعماله العبقرية — فيما بعد — بأهليته لذلك، فقطعت الدار خلال إدارته أشواط تقدم بعيدة، لُقِّبَ بـ «شمس العلماء»، كما تولى منصب المفتي العام في «حيدر آباد»، وافته المنية وهو في طريق العودة منها، ودفن في حيدر آباد. (راجع: مآثر شيخ الإسلام حسين أحمد المدني للأدروي، ص:٣٢، ط: دار المؤلفين ديوبند، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص:١٩٧)

(٢) المولوي عبد الله: من ولد الشيخ أنصار علي، وُلِد نحو عام ١٢٦٧هـ، وأخذ العلم عن أبيه وعن الشيخ محمد يعقوب، والإمام النانوتوي، وسمع الحديث عن الشيخ أحمد علي وتخرج في دار العلوم، ديوبند عام ١٢٨٧هـ، وبايع الحاج إمداد الله في التزكية والإحسان. شغل منصب مدير

الأنبهتوي[٢] ومن ولد المولوي أنصار علي، قرأ عليّ جل الكتب الدراسية، كما قرأ بعضَها على «حضرة الشيخ» نفسه؛ رجل جمع خصال الخير، وله – الآن – ثلاث بنات، بارك الله تعالى في ذريته.

ويصغرها السيدة رقية، زوَّجها «حضرة الشيخ» بالعارف بالله محمد صديق[٣] ابن أخت الشيخ أمين الدين – خال «حضرة الشيخ» – من ولد الشيخ عبد القدوس الكنكوهي[٤]، رجل صالح، رزان وقور، ليس له ابن سواه.

قسم الشؤون الدينية بجامعة «علي كره»، طوال نصف قرن، حيث بدأ عمله فيها في عهد مؤسسها السيد أحمد (١٨١٧–١٨٩٨م) ونال شهرةً فائقةً في عهده. (راجع: ترجمة النانوتوي للكيلاني، ١/٥٤٨، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢٢٤)

(١) الصحيح أنَّ الشيخ عبد الله ليس من ذرية الشاه أبي المعالي، وإنما هو من ذرية سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وأما الشاه أبو المعالي فهو من سلالة سيدنا حسين بن علي رضي الله عنهما. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ٢٢٥)

(٢) الشاه أبو المعالي الأنبهتوي بن محمد أشرف الحسيني الأنبهتوي المتوفى ١١١٦هـ: أحد المشايخ المشهورين في الهند، وُلِدَ ونشأ بقرية «أنبهته» من أعمال «سهارن فور»، أخذ العلم والمعرفة عن الشيخ محمد صادق بن فتح الله الكنكوهي ثم عن الشيخ داود بن محمد صادق، وتولى المشياخة بـ «أنبهته»، أخذ عنه: محمد سعيد بن يوسف الأنبالوي، وخلق كثير وقبره بها ظاهر مشهور. (راجع: نزهة الخواطر للكنوي ٦/١٨)

(٣) محمد صديق: ابن بنت الشيخ أمين الدين – خال «حضرة الشيخ» – من أولاد الشيخ عبد القدّوس الكنكوهي، رجل تقي صالح.

(٤) الشيخ عبد القدوس الكنكوهي (المتوفى ٩٤٤هـ= ١٥٣٧م): عالم رباني، شيخ معروف من مشايخ التزكية والإحسان والسلوك، دفن بـ «كنكوه». (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأدوري، ص: ١٧٧)

وقام «حضرةُ الشيخ» بتزويج بنتيه، ولم يَحِدْ – في ذلك- عن السنة النبوية قيد شبر، فأنكحهما – دُون بلاغ مسبق – عقب صلاة الجمعة، غير أنه استدعى الشيخ رشيد أحمد، وأغلب الظن أنه بلّغه مسبقًا، ولم يبلّغ أحدًا سواه، ولم يهتمّ بجهاز طائل يقدمه لبناته غير أنهما كانتا تمتلكان – كجاري العادة في عشيرتنا – شيئًا من الحلى والثياب، ولا زالتا تقضيان حياتهما فرحتين مسرورتين بفضل من الله تعالى وكرمه.

وأصغر بناته: السيدة عائشة البالغة من عمرها أربعة عوام، أحبها «حضرة الشيخ» حبًّا جمًّا، يقرب مجلسها – دون سائر أشقائها وشقيقاتها – إليه ويحادثها، بارك الله تعالى في عمرها، ورزقها صلاحًا، وهي في سنها هذا كيسة بهيجة الخاطر، اللهم زد فزد.

من أعلام تلاميذه:

وتتلمذ على «حضرة الشيخ» أناس كثيرون أفضلهم: الشيخ محمود حسن[1] أكبر أنجال الشيخ ذو الفقار علي، تلقى جل دراسته في «ديوبند»،

---

(١) الشيخ محمود حسن المعروف بـ«شيخ الهند» (١٢٦٨-١٣٣٩هـ ١٨٥١-١٩٢٠م): تولى رياسة ومشيخة الحديث بدار العلوم «ديوبند» قصد الحجاز يدبر ثورةً ضد الاستعمار البريطاني في الهند، فانكشف أمره، واعتُقِل بمكة، ونُفِي إلى سجون «مصر»، و«مالطة»، وقضى بها ثلاثة أعوام ونصف، فدعي «أسير مالطة» ممن أخذ عن الإمام النانوتوي، وأخذ عنه: الأعلام؛ ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية، وهي خير التراجم، فانتشرت ولقيت قبولاً عامًا، وقامت حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله بطبعها ونشرها وتوزيعها في العالم. وله أيضًا: «إيضاح الأدلة»، ولد بـ«بريلي»، وتوفي بـ«دهلي»، ودفن بـ«ديوبند». (راجع: تذكرة مشاهير الهند للأدروي، ص:٢٣٣، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص: ٢٢٧-٢٢٨)

وسمع الحديث عن « حضرة الشيخ » وأتم عليه دراسته ، وارتوى من منهله الفياض ، وهو أول من نيطت به عمامة التخرج في دار العلوم ديوبند.

وثانيهم : الشيخ فخر الحسن الكنكوهي(١) ، أشبه الناس بـ « حضرة الشيخ » استقامةً ، من صفوة أصحابه وحواريه ، له مقدرة فائقة ، وكعب عال في العلوم ، وهو الآخر قد تلقى دراسته في « ديوبند » ، وبدأها على الشيخ رشيد أحمد.

وثالثهم : الشيخ أحمد حسن الأمروهوي(٢) أخلص له « حضرة الشيخ » المودة ، وهو رجل ذو كفاءة بالغة ، وأوفق الناس لـ « حضرة الشيخ ».

وله تلامذة دون هؤلاء ، وكثير ما هم.

وكان « حضرةُ الشيخ » — في أول أمره — يستنكف أن يبايعه على يده أحدٌ رغم ما أذن له الشيخ الحاج — يعني به ا لشيخ الحاج إمداد الله المهاجر

---

(١) الشيخ فخر الحسن الكنكوهي (المتوفى ١٣١٥هـ = ١٨٩٧م): عالم صالح تقي، معروف بفضله وكماله ونبوغه، لازم الإمام النانوتوي في حله وترحاله، وأخذ عنه حملَ بعير؛ حسن الشكل، ضخم، ظريف، بشوش، حسن المحاضرة، ناظَرَ الهنادك. له تعليقات على كل من السنن لأبي داود، والسنن لابن ماجه، توفي بـ « كان فور ». (نزهة الخواطر للكنوي ٣٥٤/٨،وتذكرة مشاهير الهند للأدروي، ص: ٢٠٨-٢٠٩، وقاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢٢٨)

(٢) الشيخ أحمد حسن الأمروهوي بن أكبر حسين (١٢٦٧-١٣٣٠هـ = ١٨٥٠-١٩١٢م): المحدث الجليل، لازم الإمام النانوتوي، ولم يصدر عنه إلاّ وعاءً للعلم، تولى التدريس والإفادة؛ حلو الكلام، له رنة في الآذان، مليح الشمائل. (راجع: نزهة الخواطر للكنوي ٨/ ٤١-٤٢، وبحث قيم طويل النَفَس حول حياته بقلم الشيخ نسيم أحمد الفريدي، مجلة دار العلوم الشهرية في ٩ حلقات من ربيع الأول ١٣٧٣هـ حتى ذي الحجة ١٣٧٣هـ)

المكي – بالبيعة ، ثم أقبل عليه بعد ما أكدوا عليه كثيرًا ، فبايعه أناس ، لم يأذن لأحد منهم بالمبايعة ، وإن كان فيهم عدد غير قليل من أصحاب اجتهاد وأحوال.

وأصبح – اليوم – يرفض المبايعة ، فإن أصرّ عليه أحد ، أمره ببعض الأوراد و الأذكار. ولقد بزّ أصحابُه والْمُعْجَبُوْنَ به أهلَ زمانهم تحقيقًا لرضى شيخهم ووفاءً له ، رغم أن « حضرة الشيخ » لم يكن يعاملهم إلا معاملة الأصدقاء والإخوان ، ولَشَدَّ ما كان يتضايق أن يكثروا من تعظيمه وتوقيره.

وقد أرّخ غيرُ واحد من العلماء لوفاته يطول استيعابه ، وإنما أتعرض لاثنين منها أعجباني : أولهما : ما قمتُ بتأريخه ، وهو : كيا چراغ گل ہوا؟ (أي ما أسوا أن انطفأ السراج) ، ونظمتُه في غير وجه.

وأرّخ الشيخ فضلُ الرحمن ، وهو خير ما أرخ لوفاته وأروعه : « وفات سرور عالم كا يه نمونه هى » ؟؟ (أي هذه المساسأة تحاكي وفاة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم) وهذه الكلمات شطرٌ من بيت جادت به قريحةُ الشيخ فضل الرحمن.

وأرّخ السيد عبد الرحمن[1] – صاحب المطبعة النظامية بـ « كان

(١) السيد عبد الرحمن خان شاكر اللكنوي المتوفى ١٣٣٤هـ = ١٨٩٦م، رجل فاضل، سمح اليد، نشيط في الخدمات الدينية، أنشأ هو وأخوه مطابع في «لكناؤ» كانت مضروبًا بها المثل في حسن الطبع والمعاملة، فلما فرض الملك واجد علي شاه الحظر على مطابع «لكناؤ» عام ١٨٤٩م، انتقلا بها إلى « كانفور». وعام ١٨٥٤م أنشأ مطبعة في « كانفور» باسم المطبعة النظامية التي كانت

فور»[١] – لوفاة هذين الشيخين[٢] «رضي الله عنهما، فنعم ما أرخ.

وأرختُ أنالهما: «مصيبت پر مصيبت آئی؟ (أي مصيبة تلتها مصيبة).

وفي الختام أقول: اللهم! يارب! ياكريم! أكرم نزل هؤلاء في أعلى العليين بفضلك الأعم ومنّك الشامل، وارزقنا – من ورائهم – الاستقامة على الطريق الذي سلكوه، عليه نحيى، وعليه نموت، وعليه نُبعَث، آمين ثم آمين.
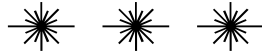
يهتم بتصحيح مطبوعاتها لاسيما القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا. أسس مدرسة جامع العلوم بكانفور، واستدعى إليها «حكيم الأمة أشرف علي التهانوي»، وكان له علاقة وطيدة بالحاج إمداد الله تنم عنها رسالة غراء أرسلها الحاج إمداد الله إلى حكيم الأمة أشرف علي معربًا فيها عن بالغ حزنه وأسفه على وفاته. (قاسم العلوم للكاندهلوي، ص:٢٣١)

(١) كان فور (Kanpur): مدينة كبيرة بالولاية الشمالية، ومركز صناعي وتجاري عظيم، بها مصانع كثيرة للقطن والصوف والجلود والأحذية وغيرها، على نحو ٤٩٠ ك م من دهلي العاصمة.

(٢) يعني بهما الشيخ الإمام النانوتوي والشيخ المحدث أحمد علي السهارنفوريّ؛ حيث توفي الإمام يوم الخميس ٤/ جمادى الأولى ١٢٩٧هـ الموافق ١٥/ أبريل ١٨٨٠م، وتوفي المحدث السهارنفوري يوم السبت ٦/ جمادى الأولى ١٢٩٧هـ الموافق ١٧/ أبريل ١٨٨٠م أي في يومين متقاربين.

الفهارس

فهرس الأعلام

الوارد ذكرهم في الكتاب

الأعلام الواردة في الكتاب

ب

ت

ج

ح

خ

د

ذ

ر

س

ش

ع

غ

ف

ك

فهرس الأماكن

الوارد ذكرها في الكتاب

الأماكن الوارد ذكرها في الكتاب

ك

ل

م

ن

المراجع

أ

١- الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين، بيروت.

٢- الإمام النانوتوي حياته ومآثره للأستاذ أسير الأدروي، ط: أكاديمية شيخ الهند، بدار العلوم، ديوبند.

ت

٣- تاريخ دار العلوم ديوبند للسيد محبوب الرضوي، ط: المركز العلمي، ديوبند عام ١٣٩٢هـ.

٤- تذكرة مشاهير الهند للأستاذ أسير الأدروي، ط: دار المؤلفين، ديوبند، الهند.

٥- ترجمة النانوتوي للأستاذ الفاضل مناظر أحسن الكيلاني، ط: مكتب دار العلوم ديوبند، الهند.

س

٦- سوانح علماء ديوبند للدكتور نواز الديوبندي، ط: نواز ببلي كيشنز ديوبند.

ص

٧- الصحيح للإمام مسلم، ط : الحلبي.

ف

٨- فرهنك آصفية للمولوي السيد أحمد الدهلوي، ط : ترقي أردو بيورو، دهلي الجديدة.

ق

٩- قاسم العلوم حضرة الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي أحوال وآثار وباقيات ومتعلقات عدد خاص لمجلة «صحيفة نور» للشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي، مكتبة× نور، محله مولويان، كاندهله، مظفر نغر، الهند.

م

١٠- مآثر شيخ الإسلام حسين أحمد المدني للأدروي، ط : دار المؤلفين، ديوبند، الهند.

١١- المنجد في اللغة والأعلام، ط : دار المشرق، بيروت.

ن

١٢- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والناظر للعلامة الشريف عبد الحي، ط : مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

الموضوعات